القديس في قاع البحر



القديس في قاع البحر

الكاتب الانجليزي: ليسلى تشارتريس
ترجمة: صادق راشد

الفصل الاول

لم يكن هناك من يعرف على وجه التاكيد مكان سيمون تمبلار الملقب بالقديس .

كانت الصحف لا تنفك تطلع على الناس بنبأ من انبائه او نادرة من نوادره .. فهو اليوم قد سرق جواهر (الراجاراندات) وزار السفارة الانجليزية فاستولى على جواهر المدعوين الى احدى مآدبها . وهو بالامس احتال على البارون بروكي فسلبه بضعة ملايين من الفرنكات ومجموعة نادرة من الصور الشهيرة .. وهو غدا يتوعد سرقة سندات ديون الحرب في موعد يحدده بالدقيقة والثانية .. هذا الى عيثه المعروف بالمفتش تيل ، تلك « المقالب » الظريفة التي كان يدبرها له من يوم الى آخر بطريقة تثير الابتسام وتزيد الجمهور اعجابا بهذا اللص الظريف الجريء الذي ليس لجراته حد تقف عنده .

وعلى حين فجاة انقطعت اخباره واختفى اسمه من الصحف .

فأين ذهب ؟ . وأين اختفى ؟ .

كان هذا السؤال الذي لا يفتأ يتردد في الاذهان وتجري به الالسن دون ان يدري له أحد من جواب . !

فهناك صحف تؤكد انه سافر الى الولايات المتحدة ليسرق مناجم الذهب الموجودة هناك .. وهناك صحف اخرى تقول بنفس اللهجة التاكيدية انه شوهد يحوم حول بنك انجلترا بغية سرقته .. وهناك طائفة ثالثة من الصحف تؤكد أن تمبلار هجر عالم اللصوصية واشتغل

بالسياسة ، وانه يتخذ العدة لاثارة القول واشعال حرب عالمية تجتاح الدنيا .

وهكذا اخذت كل صحيفة تضرب على نغمة معينة ، ولكنها كلها كانت تخمينات من وحى الخيال أرادت بها الصحف تسلية القراء واثارة اعصابهم .

على أن اطرف نبأ نشرته الصحف فى ذلك الصدد هو ما جاءت به احدى الصحف اذ نشرته فى صدرها بالخط العريض فى أحد الايام أنباء مثيرة تحت عناوين بارزة منها :

سيمون تمبلار الجبان يهرب من المفتش تيل العظيم — تيل يكاد يقبض على تمبلار .. وتمبلار يتوسل اليه باكيا — تمبلار يهجر الميدان خوفا من تيل » .

وتحت هذه العناوين الضخمة نبأ فحواه ان سيمون تمبلار سئم النضال مع المفتش تيل وخشى عاقبة هذه الحرب الطاحنة بينهما فآثر أن ينجو بنفسه من السجن الذى يتهدده فغادر انجلترا وتوارى عن العيون .

وعلقت الصحيفة على هذا النبأ بقولها : ان ما فعله تمبلار هو عين الحكمة فالناس جميعا يعلمون الا قبل له بمقاومة تيل ، لان تيل — كما هو واضح لكل ذى ادراك — اكثر منه جرأة وأوفر ذكاء وأشد حنكة .. فالحرب بينهما غير متكافئة وتمبلار — كما يعلم الناس — ضعيف جبان .

وواضح ان الصحيفة قد أرادت بهذا الخبر أن تتهكم على المفتش تيل وأن تنتقص من قدره . وقد أفلحت فى بغيتها لان هذا النبأ ظل يوما كاملا حديث الاندية . وما جرى ذكره الا ضحك الناس ساخرين من المفتش تيل الذى تقول الصحيفة انه أوفر ذكاء من تمبلار ! .

وكان الغريب فى الامر انه لم يمض على ذلك يومان حتى أدلى المفتش تيل الى نفس الصحيفة بحديث قال فيه انه يعتقد أن النبأ الذى نشر عن فرار تمبلار حقيقى ، وان التفسير الوحيد لاختفاء تمبلار هو انه خشى بطشه (أى بطش تيل) .

وعلقت الصحيفة على حديث تيل بقولها :

— ألم نقل لكم أيها القراء انه لم يمض على ذلك يومان حتى أدلى المفتش تيل الى نفس الصحيفة بحديث قال فيه انه يعتقد أن النبأ الذى نشر عن فرار تمبلار حقيقى لانك يه . وان التفسير الوحيد لاختفاء القديس هو انه خشى طشه (أى بطش تيل) .

وعلقت الصحيفة على حديث المفتش تيل بقولها :

« ألم نقل لكم أيها القراء ان المفتش تيل أوفر ذكاء واكثر جرأة مما تظن وتظنون ! . »

فكان هذا التعليق الظريف مثار الضحك بضعة أيام .

اما الحقيقة التى جهلها الناس فهى أن تمبلار فعل فى ذلك الوقت كما يفعل اصحاب الملايين ، فاقام فى يخت ميل فى خليج سانت مالو بالقرب من مدينة دينار على اطىء الفرنسى منقطعا عن العالم وما فيه من سرقات مصادمات بالمفتش تيل وامثال تيل . وبدلا من أن يكون زيل السجن تراه يمضى وقته فى السباحة أو صيد السمك أو الاستلقاء فى الشمس على ظهر يخته مكورسير ، يطالع كتابا .



وفي جوف احدى الليالي استيقظ تمبلار فجاة ٠ !

ايقظته صرخة ما كانت لتنبه من النوم احدا! سواه ٠ كانت صرخة خافتة بعيدة كانها صادرة من مكان سحيق ٠ وقد جاءت الى اذنه مختلطة بهدير البحر ٠ ولو ان رجلا غيره سمعها لما نبهته او شعر بها ، ولكن تمبلار اشبه بالحيوان الحذر الذى يثب من النوم العميق الى اليقظة الشاملة في غمضة عين لاتل خطر يقترب منه ٠

واستيقظ تمبلارفي لحظة خاطفةدون ان تنبهر انفاسه او تشتد ضرباتقلبه ٠ كان الفرق الوحيد عنده بين النوم واليقظة هو انيفتح عينيه او انيغمضها ٠٠ دون ان تنم سحنته او حركات تنفسه عما عراه من غضب ودهشة لهذه اليقظة المفاجئة ٠

واذ ذاك سمع دوى الطلق النارى ٠

اخذ الدوى ينمووينتشر ويتمددحتى بلغ اذنيه ضعيفا غير واضح وقد صحبته صرخة اخرى خافتة اعقبها صوت جسم يسقط في الماء ٠

ووثب تمبلار من فراشه وخرج الى ظهر اليخت فتلقاه الضباب بنسماته الباردة ٠ ووقف مستندا بظهره الى غرفة القيادة كانه فهد يتربص بفريسته وقد اصاخ اذنيه للسمع ٠

كان مفروضا ــ طبقا للنتائج ــ ان يكون القمر بدرا يتوسط السماء . ولكن الضباب الذى كان يسود البحر في هذه اللحظة حجب القمر وشمل الارض برداء مظلم لا تكاد تنفذ فيه العين ٠ وارسل تمبلار بصره فيما حوله فراى الكائنات والجمادات معدومة لا وجود لها ٠ وحتى ذلك اليخت القريب من يخته كانت انواره المتلالئة قد استحالت في هذا الضباب اشبه شيء بشرر يتالق ثم يخبو ٠

ففى هذا الضباب المعتم لم يكن فى وسعه ان يرى شيئا ٠٠ ولكن كان فى امكانه ان يصغى ٠٠ وقد اصغى

سمع رنين سلسلة يحركها الماء ٠٠ ثم سمع صوت حبل يحركه الهواء فيصطدم بجدار يخت قريب ٠٠ ثم سمع صوت الحبل وهو يحتك بجدار اليخت .

كما سمع جلبة اصوات صادرة من الجهة التى صدر منها دوى الطلق النارى ٠

واعقب هذا سكون شامل ٠ !

ولكنه كان موقنا من ان هذا السكون لن يستمر طويلا ٠ واخذ يدير راسه يمينا وشمالا مرهفا اذنيه للسمع ٠

ثم صكت اذنيه الاصوات التى كان يترقبها ويتوقعها .. سمع صوت مجداف يضرب وجه الماء . وصوت قارب ينزلق على سطحه ٠

واخذ الصوت يشتد تدريجيا حتى غدا واضحا مسموعا فى جلاء ٠

واخيرا ادرك ان القارب يتجه الى ناحيته ٠

ولبث تمبلار ساكنا فى مكانه ٠ ولكن كانت كل عضلة من عضلاته قد تحفزت وتوثبت ٠٠ وكل جارحة من جوارحه قد تهيات وتنبهت ٠

لقد هجر العالم بمغامراته ٠٠ ومصايماته ٠٠ وحوادثه العجيبة ٠ ولكن العالم يابى ان يهجره ٠٠ ها هو ذا ياتى اليه حتى سلم يخته ٠٠ لقد ظن انه هنا يعيش بمنجاة عن المغامرات ودوى الطلقات ٠ ولكن المغامرات جاءت اليه تسعى واصطك فى اذنه دوى الرصاص ٠

وعلى حين فجأة أدرك أن في البحر شخصا يسبح ..
وان هذا الشخص يتجه أيضا الى اليخت ..

وجعل يحدق في الظلام .. وفي دائرة الانوار المنعكسة من يخته على صفحة الماء رأى الشبح .

وكان شبح امرأة .. !

لم يكن تمبلار موقنا كل اليقين من انها امرأة .. ولكن ضربات الذراعين في الماء .. وحركات الرأس .. وشكل القوام .. كل هذا أوحى اليه فيما يشبه الالهام بانها امرأة .

وسره أن تكون كذلك . فلو ان محور المغامرة كان رجلا لفقدت المغامرة لذتها وطلاوتها .. اما ومحورها امرأة فالامر يختلف كثيرا .

واقتربت الفتاة من اليخت .. وكأنما أدركها الاعياء فمدت ذراعها وتعلقت بحباله وكفت عن السباحة

وكان تمبلار لا يزال في موقفه عند غرفة القيادة مستترا في ظلها .

ورفعت الفتاة رأسها .. ورأته .. !

واجفلت وبدا عليها انها تهتم بأن تعاود السباحة مبتعدة عن اليخت ولكن ضربات المجاديف كانت تقترب وتزداد وضوحا في السمع . وكانت الفتاة تعلم ان ليس من الحكمة أن تعود الى السباحة والقارب في اثرها يسعى اليها ويحاول أن يقتنصها .

وكان تمبلار لا يجهل حقيقة الموقف . ولا يجهل العواطف التي تتضارب في صدرها . ففي خطوة واحدة أسرع الى طرف اليخت وانحنى فوق الفتاة ومد يده فرفعها في غير مشقة كأنها طفلة صغيرة . ولم تصرخ

الفتاة ولم تستنجد اذ كانت تعلم ان في الاستنجاد شرا لا قبل لها به .

واحتملها تمبلار واسرع بها الى غرفة القيادة فأدخلها وأوصد الباب عليها ورجع الى مكانه على ظهر اليخت في نفس اللحظة التي تراءى فيها القارب .

وارسل تمبلار بصره الى من في القارب .. كانوا ثلاثة .. اثنين منهم في ثياب البحارة وقد تولى احدهما المجاديف وتولى الثاني الدفة . اما الثالث فكان في ثياب عادية وقد جلس في مقدمة القارب . ولم يقف الا حين دنوا من اليخت .

وادرك تمبلار ان هذا الشخص الثالث هو « الرئيس » فجعل يتفرس فيه في عناية واهتمام . وكانت سحنة الرجل جامدة لا تنم عن شيء .. ولكن تمبلار الخبير بالطباع وبالناس ادرك انه ازاء رجل جبار يشبه منقار النسر على انه رجل جشع يعبد المال .

وفجأة رفع الرجل يده فاذا فيها مصباح كهربائي انبعث منه ضوء ساطع أخذ الرجل يوجهه هنا وهناك على سطح الماء . ثم استقر الضوء على وجه تمبلار

وكان تمبلار يعرف أن وجهه قطعة من حجر لا يمكن أن يقرأ فيها اذكى الناس شيئا .

وحول صاحب المصباح ضوءه الى ناحية اخرى . وتكلم تمبلار قائلا في بساطة وغير اكتراث :

ـ أفقدت شيئا ؟

وارتد اليه الضوء ثانية وتكلم الرجل في صوت واضح النبرات خال من الشعور قائلا :

ـ ليس تماما .. أرأيت شخصا يسبح في هذه الناحية ؟

فتمتم تمبلار وهو يضحك قائلا :

ـ لم أر الا السمك طبعا .. الا اذا كنت تبحث عن أحد عابري المانش .. ولكن هؤلاء السباحين يتجهون عادة الى ناحية كاليه .

وساد صمت قصير قبل أن يضحك الرجل . ولكن لم يغب عن تمبلار أن ضحكته كانت جوفاء مفتعلة .. كانت مجرد مماشاة للظروف ومحاولة للتخلص من موقف تحفه علامات التعجب والاستفهام .

ـ كلا . بل اني ابحث عن رجل من جماعتنا قبل رهانا سخيفا .. واعتقد انه لابد ان يكون قد عاد الى اليخت .

وعند هذا ادرك تمبلار ان المغامرة جاءت تسعى حتى بابه .. رهان مصحوب بصرخات استنجاد وبدوى رصاصة ! انه اذن يكون أعجب رهان في الدنيا .. وما قال صاحب الانف المعقوف ذلك الا ليضلل تمبلار ويصرف ذهنه عن الحقيقة .

وخطر له فجأة أن من المحتمل ان الفتاة لصة من لصوص السفن ارادت ان تتسلل الى اليخت تشعر بها من فيه واطلقوا عليها النار . ولكنه استبعد هذا الخاطر على الفور .. فلو ان الامر كان كذلك لما كان هناك ما يدعو ذا الانف المعقوف الى كتمان الحقيقة .

ولما ابتعد القارب فتح تمبلار باب غرفة القيادة وأومأ الى الفتاة باصبعه دون ان يتكلم فتبعته الى قاعة الاستقبال في سكون .

الفصل الثاني

خلعت الفتاة قلنسوة السباحة فتهدل شعرها على كتفيها كستنائيا خلابا . وكانت شفتاها لا تزالان حمراوين مغريتين على رغم ما اعتراهما من اثر الماء وبرودته . اما قوامها في ثوب الاستحمام الذي تلبسه فكان فستانا يصح أن يتخذ منه أحد الفنانين الموهوبين انموذجا كاملا .

على ان الشيء الذي راق تمبلار منها انما هو ذلك البريق الذي ينبعث من عينيها والذي ينم عن المكر والخبث .

وقال تمبلار في برود :

ـ ان الماء بارد الليلة .. أليس كذلك ؟

ـ قليلا .

وفتح تمبلار احد الادراج واخرج عددا من المناشف وضعها على الاريكة مع برنس حمام ثم قال يخاطبها :

ـ اتفضلين قهوة ساخنة أم قدحا من الويسكي ؟

فابرقت عيناها في مكر ودهاء ثم ما لبثت ان استردت سكونها وقالت :

ـ شكرا لك . اني اوثر ان اعود .. لاقبض قيمة الرهان . اني مدينة لك بالشكر لانك .. لانك فهمت سريعا .. وساعدتني .

ومدت اليه يدها لتصافحه مودعة وعلى شفتيها ابتسامة ساحرة أدارت رأس تمبلار وجعلته يحلم بضع لحظات . ثم قال لها :

ـ آه ·· نعم ·

وتناول اليد الممدودة اليه ·· ولكنه لم يدعها على الفور كما تقضي بذلك أصول المصافحة · وانما وضع قدمه على طرف الاريكة وأسند مرفقه الى ركبته والتمع في عينيه الزرقاوين بريق يدل على المرح والابتهاج وقال :

ـ طبعا ·· لقد سمعت كلاما عن رهان ·

ـ وصدقني انه كان رهانا سخيفا ·

وسحبت يدها من يده واسترسلت قائلة :

ـ كنا نتحدث عن سهولة الفرار في الظلام لاسيما اذا ساد الضباب البحر · ولست أدري كيف قلت أن في وسعي أن أسبح الى (دينار) وأعود دون ان يهتدوا الى أثناء السباحة ، فتراهنا على ذلك ولكنهم لسوء حظي كادوا ان يعثروا علي عندما تعلقت بيختك فانتشلتني أنت ولست أدري اذا كان الصعود الى اليخت ضمن شروط الرهان أم لا ·

ـ واطلاق الرصاص ؟

فقطبت جبينها هنيهة ثم قالت :

ـ كان هذا جزءا من الرهان زيادة في اتقان الناحية التمثيلية منه اذ كان المفروض أني حضرت الى السفينة بغية السرقة ·

ـ وصراخ الاستنجاد ؟

ـ كان أيضا جزءا من المهزلة ·· الواقع اني أظن أننا كنا سخفاء في القيام بهذه المراهنة وفي وضع شروطها بهذا الشكل ·

وابتسم تمبلار واشعل سيجارة ثم قال :

ـ اني أنا نفسي أحب هذه المراهنات السخيفة فهي تساعد على تمضية السهرات الطويلة · ولكن من الذي أطلق النار ؟

ـ الرجل الذي تحدث اليك من القارب ·

ـ وأظنه لم يطلق النار على نفسه خطأ ! · أما صرخة الاستنجاد فكانت ذات رنة حقيقية فدعيني أهنئك ببراعة التمثيل ! ·

وكان صوته عاديا لا ينم عن شيء فلم تدر الفتاة اذا كان يتكلم جادا أم مازحا وهل صدق روايتها أم أنكرها ؟

ووضع تمبلار سيجارته بين شفتيه ومد يده الى ناحية الفتاة وهو يقول :

ـ وعلى فكرة ·· ما هو هذا الكيس الجميل ؟

اذ كان هناك كيس من المطاط معلق بمنطقة الفتاة ·· ولمست يده الكيس قبل أن تتمكن الفتاة من التراجع ·

وقالت في صوت هادىء :

ـ انه كيس من ذلك النوع الذي لا ينفذ منه الماء والذي يستعمل لحفظ السجائر أثناء السباحة ·· ألم تره من قبل ؟

ـ كلا ·

وأنزل قدمه من فوق الأريكة وتقدم اليها وهو يقول :

ـ أتسمحين بأن ألقي عليه نظرة ؟

وكان تمبلار يتكلم في لهجة مهذبة تدل على التأدب · ولكن الفتاة ارتدت الى الوراء في حركة سريعة مبتعدة عنه وقالت :

ـ أظن ·· أظن أنه يجب أن أعود ·· لا شك أن القلق قد استولى عليهم الآن لغيبتي ·

فأحنى تمبلار رأسه وقال :

ــ هذا صحيح .. لقد كدت ان انسى انهم في انتظارك . ولكن لا ينبغي أن تعودي سابحة في مثل هذا الضباب والا تعرضت لخطر جسيم .. ومن المحتمل أن تضلي عن يختك .. وليس من الحكمة أن تدوري في الماء في الظلام .. فدعيني ارجع بك اليهم .

ــ لا داعي لان تحمل نفسك هذه المشقة .. ان الماء في الواقع ليس باردا .. والسباحة في الظلام تروق لي .

ــ أما ارجاعك الى اليخت في قاربي فيطيب لي .. ! فدعيني اقوم بهذه المهمة واعلمي أن ليست فيها اية مشقة .

وحاول أن يتقدمها الى الباب ولكنها اعترضته بقولها :

ــ ارجوك أن تبقى فان الرهان ليس ...

فقاطعها بقوله :

ــ تبا للرهان يا عزيزتي ! انك اجمل وانضر شبابا من أن ادعك الى رحمة الامواج ! . وفضلا عن هذا فقد خرقت قواعد الرهان بصعودك الى يختي .. سأحملك الى يختك في قاربي .

ــ لن أذهب معك فارجوك الا تعقد الامر بتدخلك .

ــ بل انك لن تذهبي الا معي .

فعضت الفتاة شفتيها وقالت في تردد :

ــ هذا تلطف منك . ولكني لا أريد أن احملك اية مشقة . ولهذا لن أذهب .

فقال تمبلار في ابتهاج :

ــ في هذه الحالة ينبغي ان تستعملي هذه المناشف وان تجيبي على سؤالي بخصوص القهوة او الويسكي .

انى أعرف طبعا ان الامر قد يكون مريبا مثيرا للشكوك .. ولكني لا أبالي فاني لست بالرجل الضيق الذهن واذا كان هذا اللقاء بدء رواية غرامية فدعيني استهلها بان اقول ان فمك اجمل فم رأيته .

فصاحت الفتاة قائلة :

ــ كلا .. كلا .. ــ انى لن ادعك تعود بي اليهم .. !

ــ هل افهم من هذا انك انتويت البقاء .. وهذا هو ما كنت ابغيه .. وما دمنا نتحدث في الامر فدعيني اسألك عما اذا كنت تجهلين أن ظهور فتاة بساقين كساقيك جريمة يعاقب عليها القانون .. ؟ ان هذه السيقان تبث في الذهن اخبث الخواطر .. وليس من الانصاف .

ــ ارجوك .. !

ونطقت بهذه الكلمة في نبرة بدأ يسري اليها الغضب وقالت مسترسلة :

ــ كان جميلا منك أن تساعدني فلا تفسد ما فعلت بما تقول .

واخذ تمبلار نفسا طويلا من سيجارته ولم يقل شيئا . ولكنه جعل يتفرس فيها ويدير عينيه في قوامها النضر الرشيق .

ومشت الفتاة الى الباب محاولة أن تخرج . وبسط تمبلار ذراعيه محاولا أن يردها الى الوراء .. ولكنها دفعته في صدره بكل قوتها فتلقى لكمتها بضحكة هازئة ولبث في مكانه جامدا كأنه تمثال من الحجر .

وعلى حين فجأة ادركت الفتاة أن يده امتدت اثناء النضال الى الكيس المعلق في منطقتها فعبثت فيه وجلست خلال محتوياته .

وتراجعت الفتاة الى الخلف مسرعة وحملقت فى وجهه فتمتم تمبلار يقول :

ـ كنت أظنه مغلقا .. وبجانبك من نوع عجيب .

وتسارعت أنفاس الفتاة وقالت :

ـ لست أدرى عما تتحدث .. دعنى أخرج .

ـ كلا .

فنظرت اليه وقد التمعت عيناها وقالت فى كلمات بطيئة :

ـ أتعرف ما يمكن أن يحدث لو أنى صرخت ... ؟

ـ نعم . أعرف انى سأسمع صرخة موسيقية بديعة لم أسمع لها مثيلا من قبل .. ولكنى أفضل أن أسمع حديثك العادى بدلا من صراخك .

ـ لو انى صرخت لتجمعت عليك نصف من فى الميناء من الناس .

فاحنى رأسه قائلا :

ـ يظهر أنها ستكون ليلة حافلة بالصراخ .

ـ دعنى أخرج حالا والا ..

ونفث تمبلار الدخان من فمه وقال :

ـ اسمعى يا أختى .. أتعرفين ما يمكن أن يحدث لو انى صرخت ... ؟

ـ ماذا تقول ... ؟

فقال مجيبا :

ـ ان هذا ليس قاربك فيما أظن . ولو انى أنا الذى قطعت البحر سباحة وصعدت الى قاربك فى مثل هذه

الساعة فرأيتك مرتدية البيجاما لكان فى وسعك أن تهددينى بالاستنجاد . ولكن النقيض هو ما حدث : فهذا القارب ملك لى . وأنت التى قطعت البحر سباحة وصعدت الى قاربى .. فماذا يكون موقفك اذا كنت أنا الذى سأصرخ مستنجدا .. الا يمكنك طبعا أن تزعمى انى خطفتك اذ قد يخطر لاحد الاغبياء أن يسألك عن السبب الذى دعاك الى عدم الاستنجاد عندما خطفتك من بحتك وانتظرت حتى هذا الوقت .. وفضلا عن هذا فأنت تلبسين بذلة استحمام وهى مبتلة والماء لا يزال يقطر منها .. وليس معقولا انى اختطفتك من قاع البحر .. فالتفسير الوحيد هو أنك أنت التى دعوت نفسك الى قاربى .. ونحن الآن فى منتصف الساعة الرابعة بعد نصف الليل ولهذا قد يسألك غبى آخر عن السبب الذى دعاك الى الانتظار الى قبيل الفجر دون أن تفكرى فى الاستنجاد اذا كانت زيارتك بريئة واذا كنت قد حاولت الاعتداء عليك .. اسمعى يا صديقتى .. نحن الآن فى ميناء فرنسى . وولاة الامور الفرنسيون يفهمون حقائق الحياة حق الفهم . فاذا صرخت مستنجدة فسيغضون البصر عن استنجادك وسينصحوننى بأن أقدم اليك بعض الهدايا .. ! انى أيتها العزيزة رجل وديع مسالم .. لكن اذا حاولت أن تعتدى على فسأصرخ مستنجدا لاجمع عليك نصف من فى الميناء من الناس .. !

فنظرت اليه الفتاة فى برود وقالت :

ـ ما كنت أتوقع أن ألقى رجلا من طرازك .

ـ ولم لا عزيزتى ؟ والآن دعى الحوار جانبا ودعينا نتحدث قليلا فى هدوء .. انى أريد أن أعرف سر هذه اللعبة اللذيذة التى تبدأ باطلاق النار فى جوف الليل وارغامك على السباحة فى مثل هذا الضباب .. أريد أن

أعرف السبب الذي يجعلك أنت وذا الانف المعقوف تتعلقان بحكاية هذا الرهان ؟ وأي رهان هذا الذي من شروطه أن تسبحي وفي منطقتك جراب وفي الجراب مسدس محشو !

ومدت الفتاة يدها على عجل الى الكيس المعلق في منطقتها فاخرجت منه مسدسا صوبته الى تمبلار وهي تقول :

ـ أصبت ! اني احمل مسدسا في هذا الجراب ! اننا ياعزيزي في ميناء فرنسية · وولاة الامور الفرنسيون يفهمون حقائق الحياة حق الفهم كما تقول أنت · فالمحلفون في فرنسا يعرفون أنه قد تكون لدى المرأة أسباب قوية تحملها على قتل عشيقها مما يجعلهم يقررون براءتها فهل لا زلت بعد هذا مصرا على عدم السماح لي بالخروج .

فنظر اليها تمبلار باسما وقال .

ـ ولكن العادة جرت بان تقضي المرأة الليل مع عشيقها ثم تقتله في الصباح · فهلا أرجأت اغتيالي حتى الصباح ؟ فانك ان فعلت وجدتني راضيا مبتهجا .

ودهشت المرأة لجسارته · واختلجت عيناها ·· وقرأ تمبلار في هذه الاختلاجة معنى الاعجاب والتقدير ·

وتكلمت الفتاة قائلة :

ـ للمرة الاخيرة ··

ـ هل اسمح لك بالانصراف ؟

ـ نعم ·

ـ كلا ·

ـ اني آسفة ·

فقال تمبلار في بساطة :

ـ وانا ايضا ··

ـ لا تحسبني هازلة ·· اني أعني ما أقول ·· واياك أن تعتقد أني أهاب اطلاق النار فاني على استعداد لمجابهة جميع الظروف والحوادث ·· والان دعني أخرج .. ساعد خمسة فعليك أن تتنحى عن الباب .

ـ ليتك تعدين حتى العشرة · فاني أحب صوتك الجميل ·· ولكن ما دمت مصرة على الخروج فلا داعي لارغامك على البقاء ·

وتنحى تمبلار عن الباب وتراجع الى الوراء مستندا الى الجدار ·

وفي سرعة البرق امتدت يده اليسرى الى زر النور الكهربائي فضغطه وساد القاعة ظلام رهيب ! وفي اللحظة التالية وقد بدأت عيناه تألفان الظلام وثب تمبلار الى ناحية الفتاة فامسك برسغها ولوى ذراعها الى الخلف وانتزع المسدس من يدها وهو يقول :

ـ اني آسف يا صغيرتي ·

وفي هذا النضال فقدت الفتاة توازنها فسقطت على الاريكة وتمبلار الى جوارها ·

وشعر براسها الى جوار راسه · واحس أن شفتيها قريبتان من شفتيه .

ولم يشأ تمبلار ان يدع هذه الفرصة تفلت منه فأطبق على فمها بفيه ·

وارادت الفتاة أن تنحيه عن صدرها .. فدفعته في أول مرة بقوة شديدة ·· وفي المرة الثانية كانت دفعتها أقل عنفا ·· أما في المرة الثالثة فلم تكن هناك دفعة على الاطلاق !

بل كانت هناك استجابة للقبلة .

وبعد لحظات نهض تمبلار واضاء النور ! .

الفصل الثالث

استهلت الفتاة حديثها بقولها :

ـ انني ادعى لوريت باج .

وكانت جالسة على الاريكة مرتدية البرنس وامامها قدح من القهوة الساخنة وبين أصبعها سيجارة من نوع فاخر .

وقال تمبلار :

ـ اسم ظريف !

ـ وما اسمك أنت ؟

ـ ان لى عشرات من الاسماء واشهرها هو تمبلار .. سيمون تمبلار .

فنظرت اليه الفتاة فى اهتمام جديد وقالت :

ـ لقد قرأت عنك كثيرا .. ولكنى لم أكن أتصور انى سالتقى بك يوما .

فابتسم وقال :

ـ وهل اعجبتك .؟ اعنى هل جزت الامتحان ؟ .

فضحكت وقالت :

ـ اظن ذلك ، فاكتشافك سر السندات المسروقة يدل على عبقرية نادرة واماطتك اللثام عن تزوير سندات الدين الوطنى ما كان ليمكن أن يوفق اليه سواك .. وحوادثك الأخرى تدل كلها على ذكاء ونبوغ .. نضالك مع المفتش نيل ، واتصالك باعوانك وانت فى داخل السجن ومصادماتك مع الشرطة ومكتب تمبلار الرجل الطيب الذى يقوم بالأبحاث البوليسية مجانا لا يبغى جزاءا ولا شكورا ..

فقاطعها تمبلار ضاحكا بقوله :

ـ انك تعرفين عنى يا لوريت الشيء الكثير .

ـ هذا طبيعى لانى .. لانى بوليسة سرية .

ولبث تمبلار جامد الوجه كانما لم يسمع قولها .. ونفث الدخان من فمه ، ووضع السيجارة فى المنفضة ، وبسط اليها يديه . وقد ضم رسغيه أحدهما الى الآخر وقال :

ـ ضعى السوار فى معصمى .. ! لقد ابيت على المفتش نيل ان يقبض على ولكنى اتقدم اليك بنفسى طائعا مختارا مع اعتراف صريح بخطئى بكل ما ارتكبت فى حياتى من اعمال الشر .

وتفرست فيه الفتاة برهة ثم التمعت عيناها وقالت :

ـ انى اعرف انك صادق فيما تقول .. نعم لابد أن تكون أنت سيمون تمبلار .. ان سيمون تمبلار لا يمكن أن يكون الا شخصا من طرازك ولكن لم لم تنبئنى باسمك من أول الامر ؟ .

ـ لانك لم تسأليني .. فضلا عن ان التواضع من شيمتى .. فانى كما ترين شاب طيب شديد الحياء كالعذراء .

ـ اسمع !

فنظر اليها القديس مستفسرا فقالت فى لهجة تدل على الاهتمام :

ـ انك سرقت .. اليس كذلك ؟ .

ـ هكذا يقولون .. !

ـ وعملت أعمالا عظيمة ؟ .

ـ انى ارفع الفيل بيد واحدة .. الوى عنقه بيدى الاخرى .

- ألم تفكر يوما فى أن تحرق ملايين الجنيهات ؟!

- بل فكرت دائما .. لقد خطر لى أن أسرق بنك انجلترا ولكنى عدلت عن الأمر لسهولته .

فنظرت اليه الفتاة فى انفعال وقالت :

- تمبلار .. ! فى هذه الأيام يوجد عمل يبدد الملايين من الجنيهات المسروقة .. وقد نشأ هذا العمل منذ سنوات ولا يزال مستمرا حتى اليوم . ولست أقصد بذلك تهريب الخمور أو اختطاف الأطفال . انه عمل يشمل الدنيا بأسرها . ويقع حيث تكون هناك المادة اللازمة لوقوعه . وعند الاقدام عليه لا تجد أمامك شرطيا واحدا يرفع فى وجهك يدا .. انها سرقات ترتكب حيث تستحيل الحماية والمقاومة . وليس فى وسعى أن أذكر لك على وجه التأكيد كم من ملايين الجنيهات سرقت بهذه الطريقة .. ولكن حسبك أن تعلم أن ما سرق قد يبلغ عشرات الملايين .

فقال تمبلار فى صوت رقيق :

- انى أعلم هذا يا عزيزتى .. ولكنها سرقات مشروعة ترتكب فى حماية القانون وباسمه .. انك تقصدين ضريبة الدخل طبعا !

فلم تبال الفتاة بمزاحه وقالت مسترسلة :

- ألم تسمع عن الباخرة لوتين ؟

- التى غرقت .. ؟ أليس كذلك ؟

- نعم .. غرقت فى سنة ١٧٩٩ وفى مخازنها سبائك ذهبية قيمتها مليون جنيه . وقد بذلت محاولات كثيرة لانتشال شحنتها فاخفقت لأنها انغرزت فى الرمال الى مسافة كبيرة . وهنا خطرت للشركة التى تتبعها الباخرة فكرة جديدة هى أن ينزلوا الى قاع البحر مخروطا هائلا من الفولاذ يضعونه فوق حطام الباخرة بحيث تكون فى

داخله ثم يزحزحون الرمال المحيطة بالباخرة والمكدسة فوقها ويخرجوها من فوهة المخروط .. فاذا ما خلصت الباخرة مما حولها من الرمال أمكن انتشالها بسهولة . والفكرة كما ترى بسيطة وناجحة . غير أن الشركة تلقت بضعة خطابات تهديدية تنذرها بأن لا تمضى فى العمل ولكنها بطبيعة الحال لم تقم لهذا التهديد وزنا .

- وبعد ذلك ؟

- شرعت الشركة فى عملها . ولكنها اضطرت الى التوقف لأن المخروط الفولاذى نسف فجأة فى سنة ١٩٠٨ . ولم يكن نسفه قضاء وقدرا .

واعتدل القديس فى جلسته فكانت حركته هذه دليلا على أنه بدأ يهتم بالأمر .

- وهل هذا كل شىء ؟

- كلا .. ففى سنة ١٨٩٠ غرقت الباخرة ، عمريدا ، وعليها شحنة من الماس تزيد قيمتها على مليون جنيه .

وأخذت الفتاة تذكر لتمبلار أسماء البواخر التى غرقت وعليها شحنات ضخمة من الذهب أو الجواهر . ثم أردفت قائلة :

- وحدثت محاولات كثيرة لانتشال هذه البواخر فاخفق أغلبها ونجح بعضها . ولكن الشىء الغريب أن الغواصين كانوا اذا وصلوا الى حطام الباخرة فى قاع المحيط وجدوا مخازنها الفولاذية خاوية على عروشها وقد اختفى منها الذهب .. فما الذى تستنتجه من هذا ؟

فابتسم القديس وقال :

- انك تعلمين انى محدود الذكاء .. ولكن على قدر ذكائى أستطيع أن أستنتج أن لصوص البحار يفتنون

فرصة غرق الباخرة المحملة بالذهب فيخفون سراعا الى مكان غرقها ويدلون الغواصين وينتشلون الذهب لحسابهم الخاص .

ـ تماما .. فاذا ما جاءت الشركة صاحبة الباخرة الغريقة او الشركة التى أمنت على الذهب لم تجد ما يستحق ان ينتشل .

ومضت الفتاة تسرد عليه انباء بعض المحاولات التى نجحت من حيث الوصول الى الباخرة فى قاع المحيط واخفقت من حيث عدم العثور على الذهب .

وقال القديس :

ـ وهل مهمتك بصفتك بوليسة سرية أن تكتشفى هؤلاء اللصوص ؟

ـ نعم..انى اعمل لحساب شركة انجربيك الامريكية المتعاقدة مع شركة لويدز الشهيرة ومع بضع شركات اخرى من شركات التأمين الكبيرة ان الرقابة معدومة حيث تغرق البواخر .. ولكن الانتشال حق من حقوق شركات التامين مادامت قد دفعت الخسارة ، ولكنه حق لا قيمة له اذ أن شركات التأمين فى خلال الخمسين سنة الماضية دفعت الملايين من الجنيهات على حين أن ما استردته من الاموال المنتشلة لا يكاد يتجاوز عشرات الالوف .

ـ اذن فالخسارة محتومة ؟ .

ـ طبعا .. الا اذا قضينا على تلك العصابة التى تنتشل الاموال سرا . ان لصوص البحار لا يستطيعون أن يقوموا بهذه العملية الضخمة متفرقين اذ انها تستنفد جهدا ومالا وذكاء .. فلابد أن تنتظمهم عصابة منظمة برأسها رجل قوى ماكر يستطيع بذكائه وامواله أن

يشترى الالات اللازمة ويضع الخطط الناجحة .. ولهذا شرعنا نبحث عن هذه العصابة .

ـ أنت ؟ .

ـ كلا .. ولكن شركة انجربيك .. انها تسعى الى هذه الغاية منذ خمسة أعوام . وفى خلال هذه المطاردة قتل ثلاثة من رجالها ولكن الاخير منهم كان قد استطاع ان يهتدى الى اثر مهم فتبعناه .

ـ الى هنا ؟ .

فأحنت رأسها مؤمنة وقالت :

ـ ولكن واجهتنا أخيرا عقبة لابد من تخطيها . وذلك أن الاقتراب من زعيم العصابة أمر قد يشق على الرجال لاسيما ونحن نعمل بصفة غير رسمية فليست لدينا اية سلطة قانونية تخولنا حق المهاجمة والتفتيش .. ولكن هناك طريقة أخرى يمكن الالتجاء اليها فى مثل هذه الظروف .. قلت لك انه لابد أن تكون هناك عصابة ، وان يكون على رأس هذه العصابة رجل . ومن المؤكد ان لهذا الرجل قلبا . !

وابتسم القديس وقال :

ـ فانتدبتك الشركة لان لك قلبا انت ايضا . ! فاذا ما التقى القلبان سهلت المهمة وأميط اللثام عن سر العصابة . !

فأحنت الفتاة رأسها وقالت :

ـ ولقد نجحت .. ولكن الى حد ما .. أمكننى أن أتعرف بزعيم العصابة . وقد دعانى الى العشاء ورقصت معه فى الكازينو .. ولكن الشىء الذى لم أبلغه منه بعد هو انه لم يدعنى الى زيارة يخته . ولقد خطر لى الليلة

أن أجازف وأحاول الصعود الى اليخت خلسة فكان ما تعرف . لقد فاجأني في الظلام وأمسك بي . ولولا انني أطلقت رصاصة مرت الى جانب اذنه لما تخلى عني ولما أمكنني أن أفلت منه وأثب الى الماء هاربة !

فغمغم القديس يقول :

— يا لها من حكاية مدهشة ! .

الفصل الرابع

دنا دمبلار من احدى كوات اليخت وأرسل بصره الى البحر برهة ثم ارتد الى الفتاة قائلا وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة :

— أقصصت على كل هذا بغية قطع الوقت ؟

فأجابته وهي تتفرس في عينيه :

— حدثتك بهذا لانك انت من انت ! . اني مجردة من السلطة ولكني قابلتك وأنا أعرف من انت . لقد خطر لي أن الامر قد يهمك بطريقة ما .

— يجوز .. اين تقيمين ؟ .

— اوتيل دي لامير .

— كنت أتمنى أن تقيمي الليلة في يختي على أن تعودي الى فندقك في الصباح . ولكني أخشى أن يخالج الشك صديقك فيستريب في كلماتي ويعود الليلة او في الصباح الباكر ليستوثق من اني لم أخدعه وانك لم تصعدي الى يختي . ولهذا سأذهب بك الآن الى فندقك الا اذا أردت أن تجادلني في هذا فضحكت وقالت :

— لن أجادل .. واني شاكرة لك القهوة .. وكل شيء .

— ولكن هناك شيئين لم تذكريهما لي : أولهما اسم اليخت الذي أردت أن تتسللي اليه .

— اليخت فالكنبرج .

— واسم الرجل ذي الانف المعقوف .

— كيرت فوجيل .

— حسنا .. اني احب هذا الاسم واحب ان يكون لي معه مواقف خالدة يذكرها التاريخ .. لا اظن ان في نيتك أن تقضي سحابة نهارك غدا محبوسة في غرفتك .. فاذا نزلت الى الشاطيء قبل الغداء أمكنني أن أراك هناك .

وأركبها القديس قاربا صغيرا من القوارب الملحقة بيخته ومضى بها الى الشاطيء ثم ارتد وحده الى اليخت يشق طريقه في خلال الضباب الذي كان لا يزال ناشرا جناحه على الارض .

ولما استيقظ في الصباح كان لا يزال هناك على السجادة أثر الماء الذي تقاطر من ثوبها عقب انتشالها من البحر .

كانت تجلس هنا .. على هذا المقعد .. وشعرها الكستنائي متهدل على جبينها .. وفي عينيها نظرات الخبث والمكر .. وبين شفتيها سيجارة يتوهج طرفها كلما جذبت منها نفسا .. وشفتاها الحمراوان تغريان بالتقبيل .

وانتبه القديس من خواطره على صوت خادمه وهو يقول :

— طاب صباحك يا سيدي .

فقال القديس في صوت حالم :

— طاب صباحك يا حبيبتي .

فسعل هوراس مرتين وقال :

ـ انني هوراس يا سيدي .

هذا شيء يؤسف له .

ثم احتسى قدح عصير البرتقال الذي حمله اليه خادمه ثم صعد الى ظهر اليخت ومعه نظارة مكبرة ارسل بصره من خلالها الى اليخت فالكنبرج الذي حدثته عنه الفتاة فاستطاع ان يقرأ الاسم المدون على جداره الخارجي .. ولبث ينظر اليه طويلا وقد استغرقه التفكير .. اذن ففي هذا اليخت رجل يدعى كيرت فرجيل يتولى السطو على المراكب الغارقة فيسلب ما فيها من الذهب أو الجواهر . ورأى على ظهر ذلك شيئا مرتفعا ضخما مغطى بالقماش فاخذ يسائل نفسه عما يكون دون أن يرى لسؤاله جوابا .

ولما رجع القديس الى قاعة الاستقبال قال يخاطب خادمه :

ـ اسمع يا هوراس .. الا يزال لديك ذلك المدفع الصغير الذي اشتريته باسم مسدس ؟

ـ نعم ياسيدي

ـ حسنا .. اريدك ان تعده وتهيئه للاستعمال .. وضع شيئا من الشحم على الرصاص فقد نضطر الى الاستحمام في البحر والرصاص معنا .

وساد صمت قصير قطعه هوراس بقوله :

ـ ابدأت المتاعب ثانية يا سيدي ؟ .

ـ ليست هناك متاعب يا هوراس ولكنها شابة ظريفة .. وليس في وسعي ان اصف لك مبلغ جمالها لانك رجل بلا قلب .. ولكن يكفي أن اقول لك انها خرجت من البحر كما تخرج الحوريات : موفورة الجمال .. نضرة الصبا .. متهدلة الشعر .. ووقفت

فوق هذه السجادة والماء يقطر من جسمها كأنها نافورة جميلة . وقالت لي : « دعني أخرج » فقلت لها « كلا » .. نعم .. هذا هو ما حدث بالضبط يا هوراس .. فصوبت الى مسدسها ..

فقال هوراس مقاطعا :

ـ استمر يا سيدي فالحكاية طريفة

ـ قلت لك انها صوبت الى مسدسها وهددتني باطلاق النار اذا انا اعترضت خروجها فقابلت تهديدها بالضحك هكذا : « ها .. ها .. ها » وكانت الضحكة رهيبة قاسية .. ومددت يدي فاطفأت النور على الفور ونزعت من يدها المسدس فاختل توازننا وسقطنا على الاريكة .. وبعد ذلك

فقال هوراس مقاطعا :

ـ لا ضرورة ياسيدي لان تقص على ما حدث بعد ذلك فاني اعرفه .

ـ حقا .. !

ـ ويكفي أن اقول لك ان قبلاتها كانت لذيذة .. اليس كذلك يا سيدي ؟

فابتسم القديس وقال :

ـ انك اذكى مخلوق في الارض

ـ انها ليست مسألة ذكاء يا سيدي .. ولكنها مسألة قوة ذاكرة وقياس على الحوادث السابقة المماثلة !

وضحك القديس ثم قال :

ـ قد يدعونا الامر يا هوراس الى الخروج في نزهة طويلة مع رجل من اصدقائي الاعزاء يدعى كيرت فوجيل فارجوك أن تتخذ العدة لمثل هذه الرحلة بتزويدنا بكميات كبيرة من المؤونة والوقود .

وارتدى تمبلار ثياب الاستحمام وقذف بنفسه الى البحر واخذ يسبح متجها الى الشاطىء فصعد اليه واخذ يتمشى على الشاطىء على مقربة من الكازينو وهو يفكر فيما قصته عليه لورين باج .. اتراها صادقة فيما قالت ؟ أم كاذبة مضللة ؟ قد يكون ما روته له من نسج الخيال ووحيه . ومن المحتمل أن كيرت فوجيل برىء من التهمة التى الصقتها به ولكن مهما يكن من الامر فهناك لغز ينبغى جلاؤه والا لما كان الفرار سباحة فى جوف الظلام .. ولما كان اطلاق النار .. وما كانت تلك الاكذوبة التى ساقها اليه كيرت فوجيل حين زعم ان المسألة تتعلق بزهان وانهم يبحثون عن رجل . على حين أن تمبلار يعرف انهم يبحثون عن امرأة .

فهناك لغز اذن .. وسواء كان متعلقا بالسطو على البواخر الغارقة او غير متعلق بها فالامر يحتاج الى العناية والاهتمام .

وعلى حين فجأة رأى لورين باج مقبلة عليه فتبادلا التحية وقال لها :

— أنت جيدا .. ؟

— نعم .. وانت .. ؟

— لقد رأيت فى احلامى شبح جدى وقد خرج الى من جهنم واوما الى باصبعه قائلا : « انك لست اهلا لهذه الفتاة وغير جدير بها » فاستيقظت من النوم وانفجرت ابكى !

فوضعت الفتاة يدها فى رفق على ذراعه وقالت :

— الا من رجاء لك ؟

— لا رجاء الا اذا ابتسمت فى وجهى .

فابتسمت لورين بنفس تلك الابتسامة التى سحرته بالامس فقال لها :

— الان يمكننى أن اموت سعيدا .

وبعد صمت قصير قالت الفتاة :

— ليت شعرى لماذا لم يضمك انجريك الى رجاله منذ سنوات ؟

— انى يا عزيزتى لا احب ان اشتغل لحساب احد . فلو انهم عرضوا الامر على لاعتذرت . وفضلا عن هذا فانى كما تعلمين لست بالرجل الشريف .. ان مهمتك تقضى عليك باسترداد المسروقات لردها الى شركات التأمين اليس كذلك ؟

— نعم .

— وكذلك شأنى انا ايضا .. فانى استرد المسروقات مثلك ولكن مع فرق واحد هو انى اردها الى نفسى لا الى شركات التأمين .

— ولكن الشركات على استعداد لان تمنحك عشرة فى المائة من قيمة المسروقات المردودة

فضحك وقال :

— وانا ايضا على استعداد لان اعطى الشركات عشرة فى المائة .

— ولكن المبلغ سيصبح جسيما لان قيمة المسروقات لن تقل عن بضعة ملايين .

فانتهت فى اسى قائلا :

— ان الامانة يا عزيزتى شىء يدعو الى الضجر والسآمة .. ولكنى على استعداد لان اروض نفسى على الصبر والاحتمال ما دمت لن تضنى على بابتسامتك الحلوة .. فهذه الابتسامة عندى تساوى بضعة ملايين

فابتسمت له وقالت :

يظهر اننا بدأنا حيث كان يجب ان ننتهى .

فامسك بيدها وهو يقول :

ــ ليس للحب نهاية او بداية .

ثم ترك يدها على عجل قائلا :

ولكن لندع هذا الآن فليس هذا اوانه .. حدثينى قليلا عن صاحبك كيرت فوجيل .

لقد انبأتك بالامس انى كنت اتمنى ان ازور يخته لاقف على سره .. وكنت ضعيفة الرجاء فى هذا ولكن يظهر انى غاليت كثيرا

ــ ماذا تعنين ؟

ــ اعنى انى تلقيت فى هذا الصباح دعوة من كيرت فوجيل لاتناول معه العشاء الليلة على ظهر يخته بالكبرج ..

الفصل الخامس

عندما سمع القديس ان الفتاة دعيت الى زيارة اليخت بان على وجهه الاهتمام .. وتذكر انه شاهد فى هذا الصباح قاربا بخاريا مشدودا الى جانب اليخت عندما نزل للاستحمام ولم يكن موجود حين فحص تيلار اليخت بمنظاره للمرة الاولى .

والتفت اليها قائلا :

ــ ولكنك لا تنوين ان تلبى هذه الدعوة ؟

ــ بل تلك هى الفرصة التى كنت انشدها

ــ اعرف ذلك .. ولكن ماحدث فى الليلة الماضية كفيل بان يحملك على العدول

ــ لا اظنهم عرفوا شخصيتى .. وانا نفسى لم ار الرجل الذى هاجمنى اذ فاجأنى من الخلف وكان الظلام حالكا فانطلقت رصاصة من مسدسى ارغمته على تركى ووثبت الى البحر .

ــ ولكنه عرف انك امرأة

ــ ليس هذا ضروريا .. الا تذكر ان كيرت فوجيل ذكر لك انه يبحث عن رجل ؟

ــ اكذوبة مقصودة

ــ انها اذن اكذوبة تدل على الغباوة ، ولن يجنى من ورائها الا اثارة الشكوك اذا كنت قد رايت ان الشخص السابح امرأة وليس رجلا و .. افرض انك لم تر هذا الشخص فما فائدة مثل هذه الكذبة الاشك انه كان يعتقد حقيقة ان المتسلل الى اليخت رجل مهما يكن من الامر فانت فيما اعرف تسعى الى المتاعب والمغامرات .. اليس كذلك ؟ .

ــ تلك هى مهنتى . ولكن لنفرض ان كلامى لم يعجب فوجيل وانه استغرب ان يجدنى واقفا على ظهر اليخت فى منتصف الساعة الرابعة بعد نصف الليل فثارت شكوكه ورجع ثانية الى يخته فى حرص وحذر .. من المؤكد انه سيعرف ان فى اليخت فتاة

فابتسمت الفتاة وقالت :

ــ وهل من الضرورى أن تكون هذه الفتاة هى أنا ؟

ــ ليس ضروريا طبعا . ولكن فوجيل سيعتقد على الفور انك انت وسيذكر تودده اليه وكيف انك اظهرت ولها بانفه المعقوف الجميل وقد توقظ هذه الخواطر ريبته

يامر أعوانه بتعقب خطراتك لكى يعرف من أسرارك ما يجهل

فابتسمت لوريت باج وقالت :

– اتحسبنى اجهل كل هذا ؟ الاتعلم انى استطيع ان استعمل المسدس ؟

– كما تستعمله كل امرأة . اذ تضطرب يداها ولا تقوى على اطلاقه انسيت ان ثلاثة من رجال انجوريك فقدوا حياتهم فى النضال ؟

فهزت كتفيها فى غير اكتراث قائلة :

– على من ينضم الى شركة انجوريك ان يعلم انه انضم الى جيش يقاتل وان حياته على كف شيطان .. وان عليه ان لا يحجم عن شيء يدفعه اليه الواجب مهما كانت العواقب .. فهبك فى موقفى فهل كنت تتردد فى تلبية الدعوة والذهاب الى اليخت ؟

– ما كنت لا تردد طبعا .. ولكنك فتاة .

آه .. فتاة مسكينة لا قدرة لها على الدفاع عن نفسها ! كلا يا سيدى انى لست من هذا الطراز .

– هل لى أن أفهم من ذلك انك قبلت الدعوة فعلا ؟

– نعم .

ثم ضحكت وقالت :

– وفوجيل فيما يلوح ليس قاسيا كما تتصور فقد ارسل الى مع رقعة الدعوة باقة جميلة من الازهار

– انى اخشى ان تحبيه

– ولم لا .

– انه جدير بان يحب .. فانفه المعقوف الذى يشبه منقار النسر يثير الاعجاب .. ولكن ارجوك ان تروضى

ضميرك على الجمود .. انى اتصورك الان وانت فى سيارة كيرت فوجيل الفخمة والجواهر والماسات تزين عنقك ومعصميك .. اتصورك وانت فى وسط هذا النعيم الشامل وقد استيقظ ضميرك فجأة فوضعت فرنكا فى يد شحاذ قذر لانه ذكرك بسيمون تمبلار المسكين .

فضحكت الفتاة وقالت :

– ارجوك ان لاتقول هذا فانك تمزق قلبى . فمن اين لى ان اعلم انك مهتم بى ؟

– يظهر انى نسيت ان اخبرك .. ولكن الم تقرأى فى شحوب وجهى وذبولى وجنتى ما يطوى فى صدرى ؟

– كلا . فقد تعلمت فى المدرسة قراءة الكتب لا قراءة الوجـوه .

– هـذا نقص شنيع .. وسارفع عريضة الى وزارة التعليم لاطلب تلافى هذا النقص المعيب .

– يجب ان انصرف الان فقد يهبط كيرت الى الشاطىء لزيارتى .. وليس من الحكمة أن يرانا معا . ولكنى أريد ان اعلم قبل ان انصرف اذا كان عزمك قد صح على الانضمام الى فى هذه الحرب الدموية ؟

– ألم تفهمى بعد انى قبلت .

– لقد خيل هذا الى ولكنى اردت ان استوثق ولو أن انجوريك نفسه كان فى مكانى لفعل كما فعلت .. وثق انك ستنال عمولة طيبة .

– واين العقد .. ؟

فكان جوابها :

– لقد تم التعاقد بتلك القبلة التى طبعتها على شفتى بالامس .

وانصرفت مسرعة .

ولبث القديس يراقبها ببصره وهي في طريقها الى الكازينو حتى توارت عن عينيه .

وسمع الى جانبه صوت خادمه يخاطبه فقال له :

ـ انك ياهوراس تعكر صفو اللحظات السعيدة بوجهك القبيح .. !

ـ اهذه هي السيدة التي حدثتني عنها ؟

ـ انها ليست سيدة .. ولكنها ملاك هبط من السماء ليهديني الى الخير ليثنيني عن طريق الخطايا .

ثم سار وهو يقول :

ـ هيا بنا يا هوراس الى اليخت فان الوقت ضيق .

ولما وصل الى يخته ارتمى على مقعد طويل وغرق في التفكير .

وبعد ساعة اقبل عليه خادمه هوراس فرآه على مثل جلسته فقال له :

ـ فيم تفكر يا سيدي .. ؟

ـ افكر فيها ايها الغبي .

ـ فيها .. ! في رحلتنا القادمة .. ؟

ـ بل في الفتاة التي سلبتني عقلي يا اغبى الاغبياء .. ! لقد قبلتها فكانت هذه القبلة مفتاح الباب الذي سيقودني الى طريق التقوى والصلاح .. الم تتصور سيمون تمبلار يوما رجلا شريفا .. ؟

فسعل هوراس وقال :

ـ الحق اني .. اني .

ـ تكلم .

ـ اني لم اتصورك مطلقا رجلا شريفا .

ـ اعلم اذن انك مخطىء في اعتقادك .. فسيمون تمبلار الذي امامك الان هو اشرف رجل على وجه الارض .. تصور انه سيغترف الملايين بيديه فلا ينال منها درهما واحدا وانما سيعطيها لسواه .. ! وكل هذا من اجل امرأة .

فهز هوراس رأسه وقال في صوت خافت :

ـ سيدي هل انت في حاجة الى اسبرين او كمادات من الثلج .. ؟

ـ كلا يا هوراس .. اني لست مريضا .. ولكني محبا .

وتنبه القديس على صوت قارب بخاري يدنو من يخته متجها الى الشاطىء فلما صار في مرمى النظر تبين على ظهره كيرت فوجيل ومعه رجل بدين ذو لحية سرى اليها الشيب وعلى رأسه قبعة من الخوص من طراز بنما .

وقال خادمه هوراس يسأله :

ـ هل اعد الغداء يا سيدي . فقد اشرفت الساعة على الواحدة .. ؟

فكان جوابه أن نهض واقفا وهو يقول :

ـ لا اريد غداء فانني ذاهب الى الشاطىء ؟ .

ـ الى الشاطىء .. ؟ ولكنك حضرت من هناك الان توا .. ؟

فابتسم القديس وقال :

ـ ولو يا صديقي .. !

الفصل السادس

استقل تمبلار قاربه البخارى واتجه بــه الى الشاطىء . ولكنه لم يسلك نفس الطريق الذى اتخذه فوجيل وانما سار فى الناحية المضادة بسرعة كبيرة فلما دنا من الشاطىء عكس اتجاهه ومشى الى الخليج فى نفس الوقت الذى بلغه فيه فوجيل . ولكنه كان حريصا حذرا فى مناوراته فتعمد أن يجعل بينه وبين قارب فوجيل باخرة ضخمة كانت تهم بالرسو فى الميناء فى هذه اللحظة .

واندمج تمبلار فى قطار النازلين من الباخرة وجعل يرقب جلسة فوجيل وصاحبه . ولم يكن عسيرا عليه أن يتبينهما اذ كانت قبعته تخفى وجهه بينمــا التى يلبسها الرجل البدين علما بارزا تجعله لا يغيب عن النظر .

وراهما القديس يتجهان الى الكازينو بحثا عن مائدة خالية .وقادته قدماه بطبيعة الحال على مقربة من المائدة التى جلس اليها كيرت فوجيل وصاحبه . وفى اللحظة التى رفع فيها كيرت رأسه تعمد تمبلار أن ينظر اليه متظاهرا بأن الامر جاء عفوا .. ثم ظهرت الدهشة على وجهه .. دهشة المعرفة والذكرى .

ولم يكن الموقف يحتمــل من كيرت فوجيــل الا أن يحيى صاحبه وهو على قيد خطوة واحدة منه فارتسمت على وجهه الجامد ابتسامة آلية وقال :

ـ أرجو الا اكون قد ازعجتك ليلة الامس .

فابتسم القديس وقال :

ـ كلا مطلقا .. اذ الواقع انى لم أغادر مائدة القمار فى الكازينو الا فى ساعة متأخرة من الليل .. فعندما رأيتني كنت عائدا توا وقد وقفت استنشق الهواء النقى .

وأرسل القديس بصره الى الرجل ذى اللحية البيضاء بطريقة حملت كيرت على أن يقوم بواجب التعارف فقال :

ـ هذا هو الاستاذ بول . وأنا أدعى فوجيل ، فتفضل بالجلوس يا مسيو . يا مسيو .

فقال تمبلار على الفور ودون أن تختلج فى وجهه عضلة واحدة :

ـ تومز .

وجلس تمبلار على الفور اذ كانت هذه هى الدعوة التى ينشدها .. وقدم فوجيل اليه سيجارة وهو يقول :

ـ يلوح لى انك مولع بالمقامرة يا مسيو تومز ... !

فهز القديس كتفيه فى غير اكتراث وقال :

ـ انى أحب أن أمضى الوقت بأية طريقة كانت . وهذا هو كل شىء . أما القمار فى ذاته فلا يطيب لى . فضلا عن انى لا ألعب الا بمبلغ قليل .

فقال فوجيل فى صوت أجوف رنان :

ـ عين الحكمة .. ان الذين يتعرضون للخسائر والنكبات انما هم أولئك الذين يبالغون فى اللعب ويتجاوزون الحدود .. ان تجاوز الحدود خطر .

ونفث القديس من فمه حلقة كبيرة من الدخان وأخذ يسائل نفسه عما اذا كان فوجيل يقصد القمار فقط بجملته أم انه يشير من طرف خفى الى كل من يتجاوزون الحدود فى أى شىء فيتداخلون فيما لا يعنيهم .. !

فابتسم القديس وقال :

ـ لا خطر هناك على حتى ولو تجاوزت الحدود .. فان رصيدى فى البنك ضخم لا ينفد .

وقد ألقى تمبلار هذه الجملة بطريقة تدل على عدم الاكتراث ، فلفوجيل أن يفهم منها ما يشاء . فاذا كان قد رمى بجملته الى معنى خفى فقد أجابه تمبلار بنفس الطريقة . أما اذا كان برىء القصد فها قد جاءه جواب بـــرىء .

وقال كيرت فوجيل فجأة فى صوته الهادىء وسحنته الجـــامدة :

ـ أتنوى أن تقيم طويلا فى هذه الناحية .. ؟

ـ لا أدرى فانى لم أضع خطة معينة بعد .. فقد أظل فى مكانى أياما طويلة . وقد أرحل فجأة وعلى غير انتظار . ان الامر يتوقف على سآمتى من البقاء .

ـ كثيرون يعتقدون ان الاقامة هنا مثيرة للضجر .

فأحنى تمبلار رأسه وقال :

ـ وانى من هذا الرأى .. حتى الان على الاقل .

وأخذ فوجيل ينقر بأصبعه على المائدة وقد أرسل بصره فى أنحاء الحديقة يراقب القادمين والرائحين .. وانصرف الجالسون الى المائدة المجاورة وحل سواهم مكانهم . على انهم ما كادوا يستوون على مقاعدهم حتى أخذوا يتهامسون فى صوت خافت وهم ينظرون الى الرجل الملتحى الذى يجالس كيرت فوجيل . وسمع تمبلار أحدهم يقول :

ـ أنه هو بلا شك .. لقد قام منذ عهد قريب بتجربة ناجحة فى الغوص .

وفهم تمبلار عندهذا كل شىء .. ذكر ان هذا الرجل الملتحى هو الاستاذ بول الشهير الذى اخترع جهازا يمكن به الغوص الى عمق بعيد فى قاع المحيط . ولقد نشرت المجلة الجغرافية منذ بضعة شهور بحثا مستفيضا فى

هذا الشأن دللت فيه على أن جهاز الاستاذ ويزلى بول سيحدث ثورة علمية خطيرة اذ سيمكن العلماء من دراسة أعماق البحار عن كثب .. تلك الاعماق التى كان الوصول اليها مستحيلا بواسطة الاجهزة الاخرى التى لم تكن تحتمل ضغط المياه على عكس الغرفة الفولاذية التى اخترعها الاستاذ بول والمزودة بألواح من الزجاج غير قابلة للكسر اذ أمكن بواسطتها الوصول الى عمق خمسة آلاف قدم .

والان ها هو ذا العـــلامة بول فى ضيافة كيرت فوجيل . فليس فى الامر بعد هذا من خفاء .

ونظر تمبلار الى الاستاذ بول فى فضول واهتمـــام فقال فوجيل :

ـ لا شك انك سمعت عن الاستاذ ويزلى بول .

ـ طبعا .. ولقد ذكرت الان كل ما أعلمه عنه اذ سمعت جملة من أحد الجالسين الى المائدة المجاورة نبهت ذهنى من ركدته .. ان تجاربك يا أستاذ تستحق الاعجاب العظيم .

فهز الاستاذ كتفيه وقال :

ـ أنها تجارب مسلية وان كانت مخيفة .. ومتعبة . فدرجة البرودة على عمق خمســـة آلاف قـــدم لا تكاد تطاق لشدة برودتها اذ أنها فوق الصفر بدرجتـــين او ثلاث . فضلا عن أن ضغط الماء يحطم أشد الاجهزة صلابة ومتانة . وقد شرعت الان فى تزويد الغرفة بجهاز كهربائى للتدفئة لاتقاء البرد فى المرات القادمة .

ـ أتنوى اذن أن تهبط الى الاعماق مرة أخرى ؟

ـ نعم . فان الرحلة الاولى كانت بقصد التجربة ليس

الا .. اما فى هذه المرة فأرجو أن أصل الى ضعف العمق الذى بلغته فى المرة السابقة .

ـ وما الغرض من هذه التجارب ؟

ـ دراسة التيارات البحرية العميقة والاسماك التى تعيش هناك .. ومن المحتمل ان يجد المرء هناك انواعا عجيبة من الاسماك الهائلة الضخمة . وما يدريك اننا قد نهتدى الى ثعبان البحر الذى ورد ذكره فى الخرافات والاساطير .

فقال تمبلار فى شرود :

ـ الحق أن أعماق البحار حافلة بالاعاجيب والغرائب .

والتفت الاستاذ يول الى كيرت فوجيل قائلا :

ـ ويجب ان اشكر مسيو فوجيل .. فلولا ما قدم الى من مساعدات مالية لما امكننى ان اتهيأ للقيام بالتجربة الثانية لقد نفدت جميع مواردى بسبب تجربتى الاولى .. ولكننى ارجو الان أن أستمر فى تجاربى بفضل هذه المعونة النفيسة ..

واخذ الاستاذ يول يفيض فى شرح النتائج العلمية التى قد تسفر عنها هذه التجربة واختتم كلامه بقوله :

ـ فهذه التجربة قد تؤدى الى اثبات نظرية فوجنير التى ذكر فيها أن الارض كانت مغمورة فى الماضى بالماء وانه سيأتى يوم تجف فيه البحار .

فهز تمبلار رأسه قائلا :

ـ فهمت .

واذ ذاك اقترب منهم رجل فرنسى يحمل آلة للتصوير وقال :

ـ اننى أيها السادة مندوب الاتحاد الفرنسى للصحف . فهل تسمحون لى بالتقاط صورتكم ؟

ـ ونظر الى الاستاذ يول يطلب منه الجواب فأحنى هذا رأسه .

والتقط المصور الصورة وقد جمعت بين فوجيل وصاحبيه .

وعلى أثر هذا نهض فوجيل واقفا وهو يقول :

ـ أظن أنه لابد من انصرافنا اذ اننا مرتبطان بموعد آخر .. ولكن اذا كانت هذه الابحاث تروقك فانى أكون سعيدا اذا رافقتنا فى رحلتنا للقيام بالتجربة القادمة .. التى يراد منها التحقق من متانة جهاز جديد يراد استعماله فى الاعماق المتوسطة .

فأجابه تمبلار فى بطء :

ـ انى أكون سعيدا بقبول هذه الدعوة .

ـ ولكننا لن نجرى التجربة فى هذا المكان فالمياه هنا ضحلة قريبة الغور .. ولكننا سنجريها فى بحر هيرد ديب شمال جزيرة الدرتى ..

فالعمق هناك يبلغ نحو ستمائة قدم وهو يكفى لتحقيق غرضنا . وسنسافر فى صباح الغد الى ميناء سانت بيتر فهل تحب أن ترافقنا ؟

فقال تمبلار فى شىء من الارتباك :

ـ ان مثل هذه الدعوة لا توجه الى الانسان دائما .. واظن ان من الحماقة أن ارفضها .

ـ اذن سنلقى بك غدا .

وانصرف الرجلان ولبث القديس يتابعهما ببصره وهو يسائل نفسه عن سر هذه الدعوة .. ترى هل ارتاب كيرت فوجيل فى أمره ؟.. هل خطر له أن له علاقة

بالفتاة ٠٠ ؟ أرآه أحد من أعوانه فى رفقتها عندما كانا على الشاطىء ٠٠ ؟

وهز تمبلار كتفيه فى غير احتفال وقال فى نفسه :

ــ مهما يكن من أمر فهى دعوة من الحماقة أن ترفض حتى ولو كانت دعوة الى الموت ٠٠ !

الفصل السابع

لم يكد الرجلان ينصرفان حتى أقبل أحد باعة الصحف ينادى على ما يحمل فابتاع تمبلار صحيفة الاكسبريس وقرأ فيها نبأ أكد شكوكه اذ كان سلسلة من تلك الحوادث المتعاقبة التى توحى الى الذهن بأن هناك شيئاً يجرى فى الخفاء ٠ أما فحوى الخبر فهو أن باخرة ستغادر ميناء فالموث فى أوائل شهر أغسطس لكى تتولى البحث فى المياه الانجليزية عن كنز يمكن أن أكبر كنز فى التاريخ ٠ وهذه الباخرة تسمى « رستورر » وهى من بواخر شركة جلاسجو لانتشال السفن الغارقة ٠ ومهمتها أن تنتشل الباخرة شالفونت أو أن تنتشل بعبارة أخرى ما كانت تحمل من ذهب وجواهر قيمته خمسة ملايين جنيه ٠

اذن فكيرت فوجيل انما ينشد هذه الباخرة بالذات ٠٠ والا فما الذى يدعوه الى أن يذهب بالاستاذ بول وجهازه الى نفس البحر الذى غرقت فيه الباخرة شالفونت وقد كان فى وسعه أن يذهب به الى بحر مارا مثلا فهو أقرب وتتوافر فيه جميع الشروط اللازمة لاجراء التجربة ٠

لقد غرقت شالفونت منذ عهد قريب فرأت شركة الانقاذ أن تعجل بانتشال الشحنة اذ علمتها التجارب السابقة أن التباطؤ يمكن لصوص البحر من السطو على الباخرة قبل

أن تخف الى انتشالها شركات الأنقاذ ٠ ويظهر أن كيرت فوجيل قابل هذه السرعة بسرعة أعظم فصح عزمه على القيام بعمله قبل حلول شهر أغسطس ٠

وتناول القديس غذاءه فى المطعم ٠ فلما فرغ منه ذهب الى كاتب الفندق وسأله عن التليفون فأنبأه انه فى نهاية المشى فقال تمبلار :

ــ كلا ٠٠ انى أريد أن أتصل بلندن ٠ فدعنى أستأجر احدى الغرف وصل تليفونها بالتليفون العمومى وسأدفع الاجر طبعا ٠

وبعد عشر دقائق كان تمبلار جالسا فى احدى غرف الفندق وقد أوصد الباب على نفسه ٠ ولما تم الاتصال سمع من الطرف الاخر صوت صديقه روجر كونواى ٠٠ وبعد تبادل التحية قال القديس :

ــ اسمع يا روجر ٠٠ ألم تقل لى ان لك أسرة محترمة ٠٠ ؟

ــ ولاتزال محترمة فاننى الفرد الوحيد منها الذى يصادفك ٠

فضحك القديس وقال :

ــ الاحدهم اتصال بشركة لويدز للتأمين ٠٠ ؟

ــ ان لى ابن عم يشتغل هناك ٠

ــ هذا بديع ٠٠ اذهب اذن الى ابن عمك وذكره بماضى الاسرة العتيدة واطلب منه معلومات تهمنى عن الباخرة شلفونت التى غرقت فى شهر مارس على مقربة من جزيرة الدرنى ٠٠ أريد أن أعرف بالضبط ٠ المكان الذى غرقت فيه ٠ فلدى الشركة بلا ريب بيانات دقيقة تتعلق بهذا الشأن ٠ ثم بين نقطة الغرق على خريطة ترسلها الى الليلة باسم تومز على أن تحفظ بشباك بريد سانت بيتر ٠٠ أفهمت ؟

- تماما .. ولكن خبرني .. امعنى ذلك انك عدت الى القتال .. ؟

— يجوز .. وهناك مسألة اخرى .. اتظن ان فى وسعك أن تبتاع لاجلى بذلة من النوع الذي يرتديه الغواصون عندما يخطر لهم أن يتنزهوا في قاع البحر .. اريد بذلة من أحدث الانواع المضمونة .

— ولكن ما غرضك من ذلك .. ؟

— لا غرض لى .. كل ما هنالك انى بدأت اهتم بالابحاث العلمية في قاع البحر .. فاذا اشتريت هذه البذلة الآن وارسلتها على الفور كان ممكنا أن تصلنى ..

فقاطعه روجر بقوله :

- ولم لا آتيك بها بنفسى ..

فتردد تمبلار برهة ثم قال :

— فليكن .. فقد يكون فى وجودك منفعة كبيرة لى .. فيمكنك اذن أن تحضر جهازين للغوص بدلا من جهاز واحد .

وذكر تمبلار عند هذا أن كيرت فوجيل لا يمكن أن يقدم على هذا العمل الا اذا كان الى جانبه نفر غير قليل من الاعوان .. وليس من الحكمة أن يواجههم تمبلار بمفرده فقال يخاطب كولمان :

- ولا بأس من أن تحضر معك نفرا من الاصدقاء الذين يحبون المتاعب . وانزلوا جميعا فى فندق روايال .. ولكن اياكم أن تتظاهروا بمعرفتى .. فلا توجهوا الى الحديث الا اذا بادأتكم به أنا .. فهمت ؟

— فهمت .

- الى اللقاء اذن ..

وعندما غادر القديس الغرفة وهبط الى بهو الفندق وقعت انظاره على رجل يرتدى بذلة رمادية وحذاء أصفر اللون وكرافته حمراء وقبعة بيضاء فلفتت بصره هذه المجموعة العجيبة من الالوان . ثم سرى الشك الى نفسه اذ تذكر انه رأى هذه المجموعة ذاتها فى قاعة الطعام فى الكازينو وهو جالس يتناول غذاءه . وكان صاحبها جالسا الى مائدة مجاورة .

ودفع تمبلار اجر الحديث التليفونى .. ورمى ببصره خلسة الى الرجل فرآه ينظر اليه فرقع فى روعه انه جاسوس من جواسيس كيرت فوجيل كلف بأن يتعقب خطواته . وزاده يقينا انه رأى نفس الرجل يقتفى أثره في الطريق .. فهل بدأ فوجيل يرتاب فيه ؟ .

من المستبعد جدا ان يكون هذا الجاسوس قد سمع شيئا من الحديث التليفونى الذى دار بين تمبلار وصاحبه كولمان .. ولكن من المؤكد انه عرف أن تمبلار اتصل بانجلترا . ومثل هذا الاتصال كفيل بأن يثير الشكوك .

واستقل القديس احدى سيارات التاكسى وأمر السائق بالاسراع ثم نظر من خلال النافذة الخلفية فرأى سيارة أخرى في أثره وقد جلس فى داخلها الجاسوس المغرم بالالوان المتنافرة .

وبلغت سيارة تمبلار منعطفا حادا فما كادت تدور حوله حتى همس تمبلار الى اذن السائق .

- انعطف الى اليسار ثم اتخذ الناحية اليمنى .

فرقمت بذلك ثلاث حركات متناقضة جعلت سيارة تمبلار تعود فى نفس الاتجاه الذى جاءت منه ولكن فى شارع محاذ للشارع الذى كانت سيارة الجاسوس لاتزال

فى أوله ٠٠ وبذلك استطاع تمبلار أن يفلت من مطارده ٠

ولكنه لم يمض الى الميناء ٠ وانما أوقف السيارة ونقد السائق أجره ودخل حانوت بائع سجائر واتصل تليفونيا لوريت باج فتلقاها فى غرفتها فقال لها :

ـ ساحضر فورا لزيارتك ٠٠ كم رقم غرفتك ؟

ـ ٢٨ ولكن ٠٠

فقاطعها بقوله :

ـ كونى مطمئنة ٠٠ فساصعد الى غرفتك فورا كانى صاحبها دون أن أسأل أحدا عنك ٠

الفصل الثامن

عندما دخل تمبلار على الفتاة وجد انها لم تكن وحدها ٠٠ كان فى رفقتها رجل متجهم الوجه وقح النظرات بدين الجسم أصلع الرأس وفى سحنته ما يدل على الصلابة والشجاعة ٠

وقال تمبلار معتذرا :

ـ اخشى ان اكون متطفلا ٠

فزمجر الرجل الاصلع وقال

ـ لوريت ٠٠ كيف عرفت أن هذا الرجل موضع للثقة ؟

فأجابته الفتاة فى هدوء :

ـ ألا ترى ان له ابتسامة ظريفة ؟

وتمتم القديس قائلا

ـ ان ابتسامتى يا رجل هى التى تجعلنى موضعا للثقة ٠٠ ولكن من هو هذا الاصلع يا لوريت ٠ ؟

ـ انه يدعى جون مندرسن ٠

ـ من رجال انجلترا ؟

ـ نعم ٠

ـ انني أدعى تمبلار

ومد القديس يده الى الرجل فصافحه هذا فى برود وهو مقطب الجبين وقال جون مندرسن فجأة :

ـ اسمع يا تمبلار ! ٠٠ انى اكره من يتدخلون فيما لا يعنيهم ٠٠ !

ـ وانا أيضا ٠

ثم أردف على الفور قائلا :

ـ متى حضرت ؟ ٠

ـ وصلت شربورج فى هذا الصباح ٠

ـ وهل سألت كاتب الفندق عن مس لوريت باج ٠٠ ؟

ـ نعم

ـ الم تر بين الحاضرين شخصا يرهف السمع الى سؤالك ؟ ٠

ـ انى لم انظر اليهم ٠

فقال القديس بلومه :

ـ كان ينبغى أن تجشم نفسك هذه المشقة ٠٠ عند ما حضرت أنا الآن لم أسأل عن مس باج وانما ارتقيت السلم مباشرة وقد لمحت شخصا منزويا فى احد الاركان وهو يرقب الداخلين ومكتوب على وجهه بالخط العريض انه جاسوس ، ولكنه لم يرنى اذ اخفيت وجهى خلف صحيفة منشورة ولكن من المؤكد انه رآك لانك اذ ان موقفه عند منصة الكاتب يسمح له بأن يسمع كل سؤال يوجهه ٠ وهو ما وقف هناك الا ليرى كل من يسأل عن مس باج ٠

وساد صمت قصير قطعته لوريت باج بقولها :

ـ اكنت تعرف أن مندرسن موجود هنا ؟

— كلا .. ولكني ادركت ان هناك جاسوسا يتعقب خطواتي . وقد استطعت أن اضلله واتخلص منه .. غير انى فهمت من ذلك ان الشكوك بدأت تسرى الى قلب كيرث فوجيل ، فأردت أن أحضر لاحذرك . ومما يؤسف له انهم رأوا مندرسن وهو يسأل عنك . وماداموا قد عرفوا ان له صلة بك فسيكون هدفا لهم .

فقال مندرسن في خشونة :

— انى اعرف كيف ادافع عن نفسي .. ولست في حاجة الى مربية لتعلمني ما يجب وما لا يجب .

فقال القديس في غير مبالاة :

— انى اعرف ذلك فانت الآن طفل كبير ، ولكن أمرك لا يهمني في شيء . اذ انى في الواقع لا أهتم الا بلوريت باج . فاذا عرف كيرث فوجيل أن لها علاقة برجل مثلك من رجال انجربيك كان في ذلك خطر محقق عليها .

فقطب مندرسن جبينه وقال :

— والى أى شيء ترمي ؟ .

— اريد أن اقول انى انا وحدي الذى سأتولى هذه اللعبة . اما انت ولوريت باج فعليكما ان تكفا ايديكما .. ان لوريت لا تزال بعيدة عن الشبهات في نظر فوجيل وان كانت الشكوك قد بدأت تحوم حولها اما أنت فأمرك معروف بقاؤك يدعم الشكوك ضد باج .. فارحل على الفور .

— ماذا تقول ؟ .

— اقول لك ارحل على الفور .. ولتشيعك لوريت حتى باب الفندق ولتتظاهر امام الناس اجمعين بانك صديق لابيها .. وانك في مرورك بمينار رأيت أن تزورها عفوا . فاذا سمع الجواسيس هذه الحكاية نقلوها الى فوجيل نصدقها مادام قد رآك ترحل .. وانتفى ما في

صدره من الريب ضد الفتاة على رغم علمه انك من رجال انجربيك .. وبهذه المناسبة اذكركما ان فوجيل سيذهب غدا الى ميناء سانت بيتر

فقالت لوريت تسأله :

— وكيف عرفت هذا ؟ .

— انه هو الذى أنبأني بنفسه .. بل لقد تفضل فدعاني الى مرافقته في هذه الرحلة .

وساد صمت قصير قطعه مندرسن بقوله :

— ما يدريك يا لوريت ان لفوجيل جاسوسا . وان هذا الجاسوس هو صاحبك تمبلار ؟ . انى أرى تمبلار شديد الاهتمام باقصائي واغرائي على السفر . فمن المحتمل جدا انه يريد بذلك أن يخلو له الجو ليختطفك ويذهب بك الى فوجيل .. ؟

فضحك القديس طويلا وقال :

— وهل تعتقد يارجل أن وجودك يمكن ان يحول دوني او دون فوجيل واختطاف الفتاة اذا نحن اردنا ؟ .

— ماذا تقصد ؟ .

— اقصد ان وجودك وغيابك سواء .

واخذت لوريت تنقل بصرها بين الرجلين وقد ادركت ان الموقف بينهما قد تحرج فرأت ان تتدخل بقولها :

— عليك أن ترحل يا مندرسن

فجرش الرجل على اسنانه وقال في غضب :

— اتحسبين انى جئت لاتلقى امرا من هذا الدعي ؟

— كلا يامندرسن .. ولكنك تتلقى اوامرك منى انا .. ان تمبلار على حق فيما يقول . فوجودك يفسد الحيلة التى ادبرها اذ المعروف انك من رجال انجربيك

فصاح مندرسن فى حنق قائلا :
ـ محال ان أرحل ٠٠ !
ـ بل يجب أن ترحل ٠٠ وعلى الفور ٠ ! اننى انا التى اتولى قيادة الدفة فعلى الجميع أن يتلقوا أوامرهم منى !
ـ يظهر انك جننت ٠٠ !
ـ فلم تقل الفتاة شيئا وانما تناولت سيجارة أشعلتها وجعلت تدخن فى هدوء وهى تحدجه بنظراتها ٠
ونهض مندرسن فجأة واقفا وهو يقول :
ـ سأرحل اذن ما دمت تريدين ذلك ٠٠ ولكن سيأتى يوم تتمنين فيه لو أنى بقيت ٠
ثم تحول الى تمبلار قائلا :
ـ اما انت فاعلم أنه لو أصاب لوريت سوء بسبب عدم وجودى ٠٠
فقاطعه القديس بقوله :
ـ سأخطرك طبعا لتحضر الجنازة حتى تضع باقة على القبر ٠٠ !
ومشى تمبلار الى النافذة فأطل منها ثم قال :
ـ يمكنك أن تشيعى مندرسن حتى باب الفندق ٠٠ أما انا فسأخرج من النافذة بواسطة سلم الحريق ٠ اذ ليس من الحكمة أن اجازف باجتياز البهو مرة أخرى ٠٠ وعلى فكرة ٠٠ أمازلت مصرة على تلبية دعوة فوجيل الى تناول العشاء على يخته الليلة ؟
ـ بكل تأكيد ٠
اذهبى اذن تحفك السلامة ٠
ولما رجع القديس الى يخته نام قليلا ٠ ٠ ولما استيقظ كان المساء قد أرخى سدوله فجلس على ظهر اليخت يطالع كتابا ٠

وبعد فترة من الوقت مر على مقربة منه قارب بخارى متجها الى اليخت فالكنبرج ٠٠ ولمح لوريت على ظهره فعرف أنها ذاهبة تلبية للدعوة الى العشاء ٠
ولبث تمبلار يطالع كتابه ٠٠ ولكن خواطره شردت الى لوريت باج ٠
جعل يتصور لقاءهما الاول ٠٠ وابتسامتها العذبة ٠٠ ونظراتها الفتانة ٠٠ وخصلات شعرها المتهدلة ٠
وظل غارقا فى هذه الاحلام ساعة أو بعض ساعة ٠
وعلى حين فجأة ذكر أن لوريت موجودة الان فى يخت فوجيل ٠ ٠ فهل هناك يا ترى خطر يتهددها ٠ ٠ ؟ ان فوجيل يستريب فى امرها ٠٠ ومن المحتمل ان الشكوك استحالت يقينا ٠٠ ومن المحتمل ان تكون لوريت الان مضطهدة ٠٠ أو معذبة ٠٠ أو فى حاجة الى من يخف الى نجدتها ٠ !
ـ ووثب تمبلار واقفا فجأة واسرع الى غرفته فخلع ثيابه وارتدى ثوب الاستحمام وعلق فى منطقته كيسا من الجلد الذى لا ينفذ منه الماء ووضع فى داخله مسدسه وقد حشاه برصاص مدهون بالشحم حتى لا يفسد اذا فرض وابتل بالماء ٠
وبعد لحظات كان يسبح فى سكون متجها الى اليخت فالكنبرج وهو حريص على أن لا يخرج ذراعيه من الماء ٠٠ وعلى أن يجعل ضرباته خفيفة لا يسمع لها صوت حتى لا يلفت اليه انظار من فى اليخت ٠
وعلى حين فجأة ذكر تمبلار ذلك المصور الذى جاء مندوبا عن الصحافة الفرنسية فالتقط صورة الاستاذيول وصاحبيه فوجيل وتمبلار ٠

أصحيح أن هذا المصور من رجال الصحافة ؟ أم انه من رجال كيرت فوجيل تذرع بهذا الزعم لكي يلتقط صورة سيمون تمبلار ٠ ومن السهل بعد ذلك أن تعرض الصورة على نفر من رجال العصابات فيعرفون فيها على الفور اللص الشهير ٠

نعم ٠ من المحتمل ان يكون كيرت فوجيل قد لجأ الى هذه الحيلة ليتأكد من شخصية جليسه الذى زعم انه يدعى مسيو تومز ٠

وابتسم القديس وقال فى نفسه :

— لو صح هذا التخمين لاستقبلنى فوجيل فى الغد عندما البى دعوته استقبالا رائعا ٠ ! ولكنى مع هذا لن اتخلف عن الذهاب !

وظل يسبح فى طريقه الى اليخت ٠

الفصل التاسع

كانت السماء ملبدة بالغيوم تحجب القمر فاشتملت البحر ظلمة حالكة واخذ تمبلار يشق طريقه الى اليخت سابحا بطريقة لا تستلزم منه حركات عنيفة تلفت النظر ٠ اذ كان يحرك ذراعيه تحت سطح المياه فى خفة ورشاقة دون أن تضطرب من الماء حوله قطرة واحدة حتى ليخيل لمن يراه انه قطعة طافية من الخشب يدفعها التيار ٠

وكان السكون هو عدته ورأس ماله ٠ وبلغ من حرصه عليه انه لم ينبه رجلا فى قارب من النوع الرياضى المستطيل كان ينزلق على الماء بسرعة متجها الى ناحيته ٠ واكتفى بان غاص بضعة اقدام ليتفادى بذلك ضربة

المجذاف التى كادت أن تصيب رأسه ٠ ولما برز ثانية الى السطح كان القارب قد ابتعد فى طريقه الى الكازينو ٠

ولما اقترب القديس من اليخت غاص ثانية فى الماء واخذ يسبح تحت سطحه ولم يبرز الا حين بلغ رفاص اليخت فتوارى فى دواليبه واخرج رأسه مطمئنا الى انه لن يرى وهو فى هذا الموضع ٠

ومرت ثلاث دقائق وهو فى مكانه مرهف السمع لاقل حركة او صوت ٠٠ ولكن السكون ظل سائدا فأيقن ان سره لم يكشف وان ليست هناك لجنة للاستقبال ستخف الى مقابلته والترحيب به !

واخرج تمبلار من الكيس المعلق بمنطقته قناعا من المطاط الاسود وضعه على وجهه حتى اذا خانه الحظ ولمحه أحد ممن فى اليخت عجز عن أن يتبين وجهه ٠

وتعلق تمبلار باحد حبال اليخت ورفع جسمه قليلا الى الاعلى حتى حاذى رأسه كرة مضاءة قريبة منه ونظر من خلالها ٠ فاذا امامه قاعة كبيرة تشغل الشطر الاكبر من اليخت وقد جلس فيها نفر من الرجال فهناك اثنان يطالعان الصحف ويدخنان ٠٠ وهناك اربعة انتظموا حول مائدة فى وسط الغرفة يلعبون الورق ٠ وقد شاطرهم المنضدة شخص خامس وهو منهمك فى كتابة خطاب ٠ وتفحص القديس وجوههم فى اهتمام حتى انطبعت صورهم فى ذهنه وقد أدرك من الغضون والتجاعيد المنتشرة فى وجوههم التى لوحت بشرتها الشمس انهم من رجال البحر القدماء ٠

وانتقل بعد هذا فى حذر الى كرة ثانية ٠ ولما نظر منها وقعت انظاره على ذلك الجاسوس الولع بالثياب المتنافرة

الاولى والذى تعقب خطواته بعد ظهر ذلك اليوم • وفى نفس الغرفة كان الجاسوس الثانى الذى رآه فى فندق دى لامر عند ذهابه الى زيارة لوريت باج •

ولم يكن فى وسع تمبلار ان يفحص غرف اليخت الاخرى والا اقتضى الامر منه ان يتسلق الجبال ، ومثل هذا العمل مجرد عن الحكمة وليس له من فائدة • ولكن كانت هناك كوة فوق راسه تناهت الى سمعه منها اصوات ميز من بينها صوت الاستاذ بول وهو يقول مختتما روايته عن احدى تجاربه فى الغوص تحت سطح الماء •

ـ وكانت السمكة هائلة ضخمة وقد اقتربت من الغواصة والصقت عينيها بزجاج النافذة وجعلت تحملق فينا • والغريب انها كانت تنظر الينا باحتقار كانما تستخف بهذه المخلوقات الادمية •

وضحك الحاضرون لهذه الدعابة ثم سمع القديس صوت فوجيل المجرد عن الشعور يقول :

ـ الا يغريك هذا يا شلشبرج بأن تغوص الى قاع البحر ؟

وارتفع صوت أجش لم يسمعه تمبلار من قبل يقول :

ـ انا ؟ انى أخاف حتى السباحة فكيف اهبط الى القاع • • ! اتحبين انت الغوص يامس باج • ؟

وتكلمت لوريت باج فقالت :

ـ ان الغوص لذيذ فيما اعتقد • • ولكنى اخشى ان اقوم بمثل هذه التجربة فان الخوف لا يلبث ان يستولى على •

ودار القديس حول اليخت فى سكون ولما رجع ثانية

الى مكانه الاول كان المقامرون قد انتهوا من لعبهم • وكاتب الخطابات قد فرغ من كتابته • أما الرجلان اللذان كانا يطالعان فكانا لا يزالان متمددين على مقعديهما يقرآن • اما الجاسوسان فكانا قد ارتميا على فراشهما ينشدان النوم •

واخذ القديس يسائل نفسه عما اذا كان فوجيل قد أقام فوق اليخت رقيبا ؟ ولكن ما الداعى الى هذه الرقابة ولوريت باج موجودة على ظهر اليخت ؟ فاذا كان فوجيل يستريب فيها فهو آمن شرها ما دامت معه وليست به من حاجة الى اقامة أحد من الرقباء ، فضلا عن أن ريبته فيها لا تستند حتى الآن الى دليل • وبفرض أنه أيقن أنها تابعة لشركة انجريك فليس ثمة ما يدعوه الى الحذر وهو يعلم أنها غير متصلة بأحد وأن الرجل البدين الاصلع الذى جاء يزورها صديق قديم لابيها وانه سافر على الفور •

وتسلق تمبلار أحد الحبال حتى اذا حاذى راسه سياج اليخت ربض فى مكانه ساكنا لا يتحرك كانه قطعة من الجماد مصيخا أذنيه للسمع •

ولكن السكون لبث يسود المكان ، فلم يسمع تمبلار وقع اقدام تجرى ولا جلبة أو همسات ، وبعد بضع دقائق من التربص والترقب أيقن أن ليس هناك من درى بأمره ، فما كان منه الا أن رفع جسمه قليلا وتخطى سياج اليخت فصار على ظهره ، وفى خطوات سريعة بلغ غرفة الالات فوقف مستترا فى مظلتها • • !

ورأى على مقربة منه ذلك الشيء الضخم الذى رآه بالمنظار من يخته مغطى بالقماش فدنا منه ودس يده بين فرجات القماش فأصابت أسلاكا وحبالا ومواسير من المطاط . ثم رأى هذه المواسير تمتد حتى اذا بلغت غرفة الالات ألفاها ملفوفة على عجلة هناك وعرف على الفور أن هذا « الشيء » عبارة عن خطاف ميكانيكى هائل يمكن أن يدلى الى قاع البحر فينطبق على أى شيء هناك .. ينطبق على حطام سفينة .. أو على صندوق مملوء بالذهب فيرفعه الى سطح اليخت .

وهز القديس رأسه وقال يخاطب نفسه :

– ان فى هذا ما يدعم ما ذكرته لوريت . ! وليس هناك من يمكن أن يرتاب بعد هذا فى أن كيرت فوجيل على رأس لصوص السفن الغارقة .

وفى هذه اللحظة بالذات سمع القديس صوت باب يفتح فى نهاية اليخت وأشباه الزور المكان فوقع فى روعه أنهم كشفوا أمره فجاءوا للقبض عليه .. وامتدت يده الى مسدسه العلق فى منطقته ، ولكنه ما لبث أن أدرك أن مصابيح اليخت كلها أضيئت فعرف أنه ليس مقصودا بهذه الاضاءة ورجح لديه أن فوجيل يريد أن يطوف اليخت بضيوفه ليفرجهم عليه .

ولم يكن هناك مكان يتوارى فيه ، وعلى حين فجأة . وفى خطوات سريعة مشى الى غرفة الالات فأمسك بمظلتها ورفع جسمه فى الهواء ثم طوح ساقيه . وفى حركة بهلوانية كان رابضـــا فوق سطح الغرفة منبطحا على وجهه يرقب القادمين دون أن يروه . !

الفصل العاشر

كان كيرت فوجيل حريصا على أن يحيط مدعويه طول السهرة بالانس والبشاشة واللطف . وكان يولى لوريث باج عناية خاصة ولا يذفك يفيض عليها من ابتساماته ورقته ما نفى كل شك من نفسها وما جعلها تعتقد انه لم يرتب فى أمرها .

ولكنها ما لبثت أن أدركت خطأها بعد قليل من الوقت .. كانت خطة فوجيل ترمى الى أن يراقبها خلسة ويتغافل عنها كما يتغافل القط عن الفار حتى يحسب هذا أن القط لم يره . كان سلوكه هو وصاحبه شلنبرج ازاءها سلوكا رقيقا ظريفا فى ظاهره .. ولكنها كانت تشعر شعورا اليقين أنهما يراقبانها ويتفرسان فيها ويزنان كل حركة من حركاتها ويرقبان كل ايماءة من ايماءاتها .

لم يكن الخطر كامنا فيما يقولان أو يفعلان وانما كان فى صمتهما .. كان فى هذه الابتسامات المتعمدة التى ترتسم على الشفاه دون أن تتألق بها العيون .. كان فى هذه الضحكات التى تنفرج عنها أفواههما دون أن تهز قلبيهما .. كانا طول الوقت يرقبان .. ويتفرسان ويتربصان .. كل ايماءة منها .. أو نظرة .. أو حركة .. كانت موضع الدرس والفحص .. وحتى نبرات صوتها كانت محلا للتحليل .

كانت خطتهما ترمى الى أن يجعلاها فريسة لتصوراتها وأوهامها .. تركاها تفكر .. وتتصور .. وتتوهم .. حتى اذا تحطمت أعصابها أمام هذه المراقبة الخفية أمكنهما أن يتبينا فى وجهها ما يؤيد ريبتهما أو ينفيها .

ولما انتهوا من العشاء اقترح عليها كيرت فوجيل أن يذرعا على اليخت ماكس شلنبرج يقول :

ـ أما أنا فأوثر أن أبقى هنا أتبادل الحديث مع الاستاذ .

وطاف بها فوجيل أرجاء اليخت .. وما ترك غرفة الا ادخلها اليها شارحا مزاياها وفوائدها بصوته الأجوف الرنان المضطرد النغمات حتى اذا خرج بها الى ظهر اليخت شعرت كأنما خرجت من ظلام السجون الى نور الحرية .

وتأبط كيرت ذراعها وهو يقول :

ـ ان الجلوس على ظهر اليخت في ضوء القمر نعمة كبرى .

للمرة الأولى كانت في صوته نبرة خفيفة تدل على الانفعال .

وهتفت الفتاة قائلة :

ـ ما اجمل أن يقتنى المرء يختا فخما كهذا .. !

فقال فوجيل على الفور :

ـ هذا اذا كنت موجودة فيه . أما اليخت بدونك فيصبح موحشا لا يساوى شيئا .

ـ أتظن ذلك .. ؟

قال في صوت اشتدت نبراته :

ـ اسمعي يالوريت .. انى رجل غني واسع الثراء .. وصدقيني أن في وسعي ان اجمع في هذا اليخت مئات من الذين اقيم لهم فخر الحدب والسهرات دون أن تنضب اموالي . ولكني لا افعل ما يفعله أصحاب الملايين عادة .. أتعرفين أنك أول امرأة وطئت بقدميها هذا اليخت ؟

فقالت الفتاة في غير اكتراث :

ـ أتأسف على ذلك ؟

فكان جوابه :

ـ نعم .

ثم أردف قائلا :

ـ نعم .. انى آسف على ذلك لان الرجل اذا منح المرأة ركنا صغيرا منزويا في قلبه فمعنى ذلك أنه يمنحها الحق في أن تأخذ من قلبه ما شاءت . ! اذا فتح الرجل لامرأة ثغرة في تفكيره فمعنى ذلك انه يطلب اليها أن تشغل ذهنه اناء الليل وأطراف النهار . !

فابتسمت لوريت باح وقالت :

ـ انك تتكلم في لهجة الرجل الذى أياسه الحب .

ـ انى ما أحببت في حياتى .. :

وضغط الكلمة الاخيرة بطريقة يفهم منها سامعه أنه أراد أن يقول شيئا ثم بتر جملته .

ونظرت اليه الفتاة كأنما تسأله ألا يتم جملته .

وحدجها فوجيل بنظرة نفاذة وقال :

ـ لقد مضت أعوام طويلة وأنا أطرد النساء من حياتي .. ما سمحت لامرأة قط بأن تسيطر على قلبى حتى لا أضع نفسى تحت رحمتها .. كلما أرادت امرأة أن يكون لها شأن في حياتي أشحت عنها بوجهى ونبذتها .. ولكنك جئت أخيرا وأغريتني ودفعت بى الى أن أكون مجنونا .. لقد عرفت أنك تريدين أن تشاهدى يختى فسمحت لك بما لم أسمح به لسواك .. أن حضورك الى اليخت في نظرك مجرد لهو وتسلية .. أما في نظرى أنا فهو بدء الحياة .. وبدء النعيم .. بسماحى لك بالحضور خرجت على قاعدة سرت عليها مدى الحياة . فالان وقد حضرت لا أريد لك أن تعودى .. !

فقالت الفتاة فى صوت هادىء النبرات :

ــ ولكنك ستعدل عن رأيك فى الصباح .

ثم مشت امامه وهى تقول :

ــ وفضـــلا عن هذا فما احسبك تــرضى بان تنسى سمعتى وشرفى .

فهتف فى صوت متهدج قائلا :

ــ ان الشرف فضيلة عند المساكين الذين لا يملكون من حياتهم سواه . ان لدى من المال ما يكفى لان ينسى المرء ما يقوله الاخرون أو ما يفكرون فيه . ! فاذا شاطرتنى هذا المال لم تعودى تحفلين بما يقال عنك .

ــ الا ما تقوله عنى نفسى !

ــ لا تكونى بلهاء .. انى اعرف انك امرأة من النوع الذى لا يؤمن الا بالحقائق فلا تسلمى نفسك الى الاوهام او ضلال العواطف الكاذبة .

وامسك بذراعيها وحدق فى وجهها وهو يقول :

ــ انك المرأة الوحيدة التى استطاعت أن تهزنى .

واجتذبها الى صدره فاغلقت عينيها قبل أن يطبق بفمه على شفتيها !

وكان فمه متصـــلبا .. وقبلته تبعث الرعـــدة فى اوصالها .

وبعد لحظات تنحى عنها وعيناه تتقدان كأنهمـــا جمرتان . وقال فى صوت اجش :

ــ ستبقين باليخت .

فابتعدت عنه وهتفت قائلة :

ــ لا ادرى .. لقد فاجأتنى بالسؤال فدعنى اتدبر الامر .. سلنى غدا من فضلك .

ــ انى مسافر فى الغد .

ــ مسافر ؟

ــ نعم .. الى ميناء سانت بيتر .. وكنت أعلل نفسى بان ترافقينى

وساد صمت قصير قطعته الفتاة بقولها :

ــ اعطنى سيجارة من فضلك

ــ لقد تركت علبتى فى الغرفة . فلنرجع .

وفتح بابا قريبا منهما وتنحى عن طريقهـــا لتدخل .. فقالت :

ــ عجبا . ؟ انى لم أر هذه الغرفة بعد

ــ كان فى نيتى أن اريها لك الآن .

وكانت الغرفة كبيرة المساحة وقد انتظمت جوانبها المقاعد والرفوف الملأى بالكتب والاوراق وتـــوسطتها منضدة كبيرة نشرت عليها خريطة تشغل رقعتها .

على انهما مالبثا فيها برهة حتى طرق الباب فقال كيرت لوجيل بغضب :

ــ من هناك ؟ .. ادخل . !

ودخل الخادم يدعوه الى مقابلة الربان فاستأذن منها كيرت قائلا :

ــ اسمحى لى بلحظة واحدة ياعزيزتى . وساعود اليك على الفور .

وما انصفق الباب عليها حتى اخذت تحدث نفسها بان هذه هى اللحظة التى كانت ترجوها . فمنذ حضرت الى اليخت لم تخل الى نفسها دقيقة واحدة .. فلم تغتنم الفرصة لتفتش فى هذه القاعة عن دليل يؤيد شكوكها ويثبت التهمة ضد كيرت لوجيل .. ؟

ولم تكن تدرى عن أى شىء تفتش على وجـــه التحقيق ... ولكنها كانت تعلم علم اليقين ان ثلاثة من

رجال البحرية لقوا حتفهم بسبب هذا الفضول .. فهل تدوم حتى ولو ضحت بحياتها ...؟

ودنت من رفوف الكتب واخذت تنقل بصرها بينها فالفتها مؤلفات تتناول الفلسفة والملاحة والهندسة البحرية والقوانين الدولية . الخ كما وجدت مجموعة من المؤلفات عن الجرائم ومذكرات واقعية كتبها بعض الجواسيس . كما وجدت روايات بوليسية من النوع الممتاز .

وانتقلت بعد هذا الى الخريطة الكبيرة المنشورة على المنضدة التي تتوسط الغرفة فانحنت فوقها واخذت تنعم فيها النظر .

كانت الخريطة تتناول بحر الشمال وبحر المانش والجزائر الكثيرة المنبثة فيهما . ورأت خطا يصل بين دينار وميناء سانت بيير وفيه علامات خاصة تبرز اتجاه الرياح .. والى جانب الخط ارقام كتبت بخط دقيق تبين الابعاد والمسافات المختلفة .

وقالت في نفسها :

ـ انها خريطة عادية لا شيء فيها يدعو الى الشك .

وعلى حين بغتة لفتت بصرها علامة حمراء .. لم تكن مماثلة للعلامات الاخرى الحمراء المنتشرة في ارجاء الخريطة وانما كانت ذات ميزة خاصة اذ انها عبارة عن دائرة بالحبر الاحمر تتوسطها نقطة سوداء . شرق جزيرة سارك . والى جانب الدائرة أرقام تبين المسافات كتبت بخط دقيق .

واشتدت قبضتها على حقيبتها، محاولة ان تستعيد هدوءها وتبدد ما عراها من الاضطراب .. لقد خيل اليها ان قلبها يكاد يثب من صدرها .. في هذا المكان غرقت الباخرة . وهذه الارقام تبين بدقة تامة الموضع الذي استقر فيه الحطام .

وكانت لوريت باج تعرف اهمية تسجيلها هذه الارقام اذ ان فيها الدليل القاطع على ان فوجيل يهتم بالسفن الغارقة .

وكانت تعلم انها لا تحمل ورقة او قلما .. ولكن لفت بصرها ذلك القلم الرصاص الموضوع على المنضدة .. وتلك الاوراق الصغيرة القريبة منه .

وهمت يدها بان تلتقط القلم . ولكنها ارتعدت .. وداخلها شعور من الخوف .. وخطر لها فجأة ان من المحتمل . ان يكون هناك فخ منصوب لها .. وان القلم والاوراق انما وضعت امامها عمدا .. وان فوجيل ما تركها الا ليمهد لها هذه الفرصة .. واكبر الظن انه الان يرقب حركاتها من مكان خفي .. فاذا ماتناولت القلم وسجلت الارقام كان في ذلك الدليل الحاسم على انها تتجسس عليه ..

من المحتمل انه استراب في امرها .. ولكن البرهان لازال يعوزه . فان هي سجلت الارقام فقد هيأت له البرهان المنشود .

ولم تلتقط لوريت القلم وانما ابتعدت عن المنضدة وتناولت سيجارة اشعلتها وارتمت على أحد المقاعد تدخن كأنها ما نظرت الى الخريطة الا عفوا بدافع من الفضول العادي دون أن يكون هناك ما يثير في نفسها اهتماما خاصا بها .

ولما فتح الباب بعد لحظات ودخل كيرت فوجيل كان هدوؤها قد عاودها فاستقبلته بابتسامتها الرزينة الساحرة .

وعند دخوله لم يرتكب تلك الغلطة التي كان ممكنا ان يقع فيها سواه وهي ان يتفرس فيها ويتأمل وجهها ..

وانما اتجه مباشرة الى دولاب قائم فى ركن القاعة ففتح
درجا فيه تناول منه مسدسا وهو يقول :
ـ اتسمحى لى بأن اغيب عنك لحظة اخرى ..؟
ـ كما تشاء .. وسأبقى فى انتظارك حتى تعود .
فغمغم فوجيل يقول وهو يسير الى الباب :
ـ لقد لمح احد البحارة شخصا غريبا يتسلل فى ارجاء اليخت كما حدث فى الليلة الماضية .. ولكنه لن يفلت منا فى هذه المرة .
ولوح بمسدسه باسما ..!

الفصل الحادى عشر

ماسمعت لوريت باج كلمات كيرت فوجيل حتى وثب قلبها فى صدرها واشتدت ضرباته وخيل اليها ان عينيها غامتا وان الدنيا اخذت تدور والاصوات تطن فى اذنيها .. ولكنها استطاعت فى غمضة عين أن تسترد ثباتها وقالت :
ـ حقا ..؟
ولكن خيل اليها ان صوتها صادر من اعماق هاوية سحيقة ، وانه مجرد صدى اجوف رنان . وحاولت أن تبتسم ولكنها كانت تعرف ان ابتسامتها مفتعلة باهتة .
لقد حلت اللحظة الرهيبة ومحال ان تفلح فى اخفائها او سترها ، ولو أن فوجيل نظر اليها فى هذه اللحظة لكشف له اضطرابها ما تخفى من أمرها ولتبين على الفور انها تتجسس عليه .
هذا الطارق الليلى لابد أن يكون هو سيمون شيلار .. وسيفاجئونه حتما .. وسيطلقون عليه النار .. ويردونه قتيلا .

وكان هذا هو مثار فزعها وخوفها .
وقال كيرت فوجيل فى صوت هادىء :
ـ ليس ثمة ما يدعو الى انزعاجك .
فطرفت اليه وتلاقت نظراتهما دون أن تختلج عيناها وقالت :
ـ ولكنى غير منزعجة .. انه خبر مثير .. ولكن ما الذى يجعلك هدفا لمثل هذه الزيارات الليلية ؟ .
ـ اغلب ظنى أن هذا الطارق من لصوص الدواخر اغراه جمال اليخت فظنه حافلا بالتحف والنفائس . وسنكشف الحقيقة على اية حال .
ـ دعنى أرافقك .
ـ ولكن بدون رأيى ..
ـ انى لست خائفة .. كيف أخاف وأنا فى حمايتك ..؟ وسألتزم الصمت التام حتى لا أفسد بمطاردتى هذه المطاردة . اسمح لى بأن أصحبك فما كنت لادع هذا المشهد المثير يفلت منى .
ـ فليكن .. تعالى معى .. ولكن سيرى خلفى .
واطفأ نور القاعة وخرجا الى ظهر اليخت وكان ايضا مطفأ الانوار . ولما بلغا غرفة الآلات وقفا عندها .. وهمس فوجيل فى اذنها يقول :
ـ انه لا يزال فى مكانه .. هاهو ذا ..!
وأومأ بأصبعه الى شبح يتراءى فى الظلام ، وقد استند الى جدار احدى الغرف محاولا تضليل البصر بذاته وحدوده ، ولكنه كان واضح المعالم بما لا يدع مجالا للشك فى انه رجل يريد أن يستر نفسه عن العيون
ورفع فوجيل مسدسه .

وكانت لوريت الى جانبه ترتعد وترتعش وقد اضطرب ذهنها واستولى عليها الخوف · كانت فريسة لعذاب نفسي هائل · لم تكن تدري اية خطة ينبغي أن تتبع : أتظل صامتة مكتوفة اليدين وهي ترى سيمون تمبلار يقتل امام عينيها · · ام تصرخ لتنذره فتكشف من سرها ما اخفت ليعرف كيرت انها شريكة لتمبلار وانها انما توددت اليه وجاءت الى يخته بغية التجسس عليه · ·

كان الموقف رهيبا دقيقا ·

وعلى حين بغتة ومضت في ذهنها فكرة غريبة · · الا يحتمل ان تكون حكاية هذا الطارق الليلي ملفقة عمدا بقصد دفعها الى مثل هذا الموقف · ! ما الذي يدريها ان فوجيل نصب لها هذا الفخ حتى يقطع الشك باليقين · ؟ يحتمل ان يكون هذا الطارق بحارا امره كيرت بتمثيل هذا الدور ، وستكون الرصاصة التي ستنطلق خرطوشة فارغة حتى يتبين من موقفها حقيقة ما تبطن ·

ولكن هذا أيضا مجرد وهم وتخمين · · نعم · · من المحتمل ان يكون هذا الشبح بحارا يمثل دورا مقصودا · · ومن المحتمل أيضا ان يكون هو سيمون تمبلار فما العمل ؟ ما العمل ؟

واحتشدت في راسها عشرات من الخــواطر · · ؟ اتعطس · · ؟ اتسعل · · ؟ اتقع متظاهرة بالاغماء فيكون في اي حركة من هذه ما ينبه تمبلار (اذا كان هو تمبلار) الى الخطر المحدق به · · ؟

ولكنها كانت تعلم ان كيرت فوجيل لم يكن ينتظر منها الا اية حركة من هذا القبيل لكي يتبين حقيقة امرها ·

وظل فوجيل مصوبا مسدســه الى الشبح محــاولا احكام الهدف ، فهو رجل لا يحب أن تطيش رصاصة يطلقها ·

ولكن سيمون تمبلار لم يكن غافلا عما يجري ·

لقد تتبع كل شيء مما حدث منذ البداية · كان رابضا فوق سقف الغرفة الآلات حين دخل كيرت ولوريت قاعة المكتبة فزحف حتى بلغ سقف تلك القاعة ، ومن خلال الكوة رأى الخادم وهو يطرق الباب وسمعه وهو يخطر سيده بأن الربان يرغب في مقابلته ، ثم رأى لوريت حين خلت الى نفسها في القاعة وقد همت بأن تلتقط الورق والقلم لتكتب شيئا رآته مدونا على الخريطة فاثار انفعالها واهتمامها · · ثم رآها وقد عدلت عن هذه النية فحمد لها هذه الحكمة اذ كان يعرف ان كيرت يراقبها خلسة من ثقب في جدار الغرفة · · ثم رأى فوجيل وقد عاد اليها ليناولها المسدس وسمع ما ذكره لهـا عن الطارق الليلي الذي شوهد يجوس خلال اليخت ·

وهاهو ذا كيرت فوجيل يصوب مسدسه الى الشبح ويوشك ان يطلق النار · · ـ

وقد رأى القديس الشبح كما رآته لوريت تماما ·

وفهم القديس كل شيء على حين أن لوريت لم تفهم شيئا · · كانت الفتاة تظن ان الشبح ماهو الا بحار يمثل دورا بقصد نصب فخ لها · · اما تمبلار فكان يعرف ان الشبح طارق ليلي حقيقي · · فقد ذكر ذلك القارب الرياضي المستطيل الذي كاد يصطدم به وهو يسبح الى اليخت · · لقد اتجه القارب الى اليخت · · ومن المؤكد ان هذا الشبح هو صاحب القارب ·

ولكن لوريت لم تر القارب · · وكان القديس يعرف انها تعتقد انه هو الشبح · · وكان يشعر بالعذاب الذي يفترس صدرها · · وكان لابد له ان ينقذها من هذا العذاب · · ومن كشف سرها قبل ان يطلق كيرت مسدسه

وقبل ان تصرخ لوريت وثب القديس في خفة الفهد وانقض على فرجيل الذي كان واقفا عند غرفة الالات على قيد خطوة منه فضرب بقدمه اليمنى ذراع كرت وأطار المسدس من يده على حين ضرب رأسه بقدمه اليسرى، فاوقعه على الارض ٠٠ !

وفي هذه اللحظة تحرك الشبح وجرى الى سياج اليخت وقفز الى البحر ٠٠ اما القديس فلوح بيده للفتاة وأرسل اليها قبلة على أطراف اصابعه ثم وثب بدوره الى الماء ٠٠ ! وكان حريصا على ان يجعل قفزته بحيث يستقر في الماء على مرمى ذراع من القارب الرياضي المستطيل الذي استقله الشبح ٠

وامسك القديس بطرف القارب وقال في صوت هادىء :

ـ أظن اني نبهت عليك بأن تغادر فرنسا ٠

فأجابه الرجل الآخر في صوت جاف :

ـ اني لا اتلقى أوامري منك ٠

ـ ولكنها أوامر مس باج يامندرسن ٠

فدار مندرسن بقاربه محتميا بيخت آخر كان راسيا على مقربة من المكان وقال :

ـ ان مس باج مجنونة ٠٠ لقد خلبت عقلها بنظراتك الساحرة فافقدتها الرشد ٠٠ فهي غير مسئولة عما تقول او تفعل ٠ومن واجبي ان ابقى حيث أنا ٠

فتمتم تمبلار يقول :

ـ لكي تقتل حيث انت ٠٠ ! في المرة الثانية لن اتدخل لانقاذك والواقع اني ما تدخلت في هذه المرة الا لانقذ لوريت ٠

فقال مندرسن في غضب :

ـ دع القارب !

فرفع القديس يده عنه وتركه يتابع طريقه وهو يسائل نفسه عما يمكن ان تؤدي اليه حماقة مندرسن بتدخله الذي لا يدل على الفطنة أو الحذر ٠٠ انه بهذه الحماقة كفيل بان يفسد خطة تمبلار ٠٠ وكفيل بان يقضي على نفسه في الوقت ذاته ٠

وما كاد القديس يبلغ يخته ويستقر على ظهره حتى تناهى الى سمعه دوي القارب البخاري الملحق باليخت فالكنبرج وهو يشق طريقه في الماء وقد ارسل امامه نورا كشافا يدور في أرجاء المكان ٠

واستقر النور الكشاف على يخت تمبلار في اللحظة التي استطاع فيها ان يثب الى غرفته متواريا خلف الباب فلم يره أحد ٠

وظل القارب البخاري في طريقه ٠٠ ومن خلال الكوة رأى القديس النور الكشاف يقع على القارب الرياضي المستطيل الذي يجلس فيه مندرسن ٠

واتجه اللنش الى مندرسن حتى صار على قيد خطوات منه ٠ وارتفع صوت الرجل الذي يتولى قيادة الدفة قائلا :

ـ ألم تر احدا يسبح في هذه الناحية ٠٠ ؟

ـ نعم ٠٠ لقد رأيت رجلا يسبح متجها الى ناحية الشرق ٠

وانطفأ النور الكشاف ٠٠ وعلى الاثر سمع القديس صوت ضربة عنيفة كأنما صدرت من مجداف يضرب رأس رجل ٠٠ ! واعقب هذا سقوط جسم على ارضية قارب ٠

وفهم القديس الحقيقة · عندما سقط النور الكشاف على مدرسن عرفوا من ابتلال ثيابه انه هو الطارق الليلي الذي تسلل الى اليخت ثم وثب الى الماء ·· وقد ظن الغبي انه خدعهم بقوله انه رأى سابحا يتجه الى الشرق ·· ! وكان عقابه على هذه الغباوة ان ضربه احد رجال اللنش بالمجداف على رأسه فلما سقط مغشيا عليه احتملوه الى اللنش ومضوا به راجعين الى اليخت ·· !

والمرة الثانية شعر القديس بان واجبه يحتم عليه أن ينقذ مدرسن ·

الفصل الثاني عشر

عندما وصل القارب البخاري الى اليخت كان كيرت لوجيل في انتظاره ومعه ضيوفه ·

وقال لوجيل يسأل احد رجال اللنش :

ـ الم تهتدوا الى شيء ؟

ـ كلا ·

وكان الرجل الذي يتولى الدفة هو الذي القى اليه بهذا الجواب ·· ولكنه غمز له بعينه خلسة وارسل بصره الى سجادة ملفوفة موضوعة في قاع اللنش · وفهم كيرت انهم اهتدوا الى الطارق الليلي وانهم قبضوا عليه ولفوه في السجادة حتى لا يراه ضيوفه ·

وتكلم الاستاذ بول قائلا :

ـ هذا شيء يؤسف له · لو انكم طفتم بالمكان جيدا لعثرتم عليه بلا شك ·

ثم التفت الى لوجيل قائلا :

ـ اتحب ان نعاود البحث بانفسنا ؟

ـ لا داعي لذلك · فالاختفاء ليس عسيرا والشاطيء ليس بعيدا عنا ·

ثم تحول الى لوريت باج قائلا :

ـ يؤسفني ان يكون هذا الحادث قد عكر علينا صفونا ·

وشعرت بان صوته على غير ما تعهد · وايقنت انه ادرك من اضطرابها وفزعها ما كانت تخفى ·· وانه بهذه الكلمات انما قصد الى معنى أعمق وأبعد مما تحمله الالفـاظ ·

ولما رجعوا الى قاعة الاستقبال قدم اليها لوجيل كاسا من الخمر وهو يقول :

ـ حتى تستعيدي ثباتك · فانه مما يؤسفني أن يكون هذا الحادث قد أهاج أعصابك واثارها ·

فأجابته بقولها :

ـ أنه لم يثر أعصابي ولم يزعجني ·· كل ما هنالك انه مغامرة طريفة · ولكني متعبة وأحب أن أرجع الى فندقي ·

وأمر لوجيل باعداد القارب البخاري وتولى بنفسه الذهاب بها الى الشاطيء · وقال لها والقارب يشق لنفسه طريقا في البحر ·

ـ أترافقيننا غدا ؟

فهزت رأسها قائلة :

ـ اني متعبة الاعصاب كما ترى فليس في وسعي أن احزم رأيي الآن .. افسح لي بعض الوقت .

ـ ولكن الوقت ضيق كما ترين اذ اننا سنرحل في الغد ·

- اعلم ذلك ، ولكن لا تنس انك تسألني امرا عظيما ٠٠ وليس من الحكمة أن ألقي اليك بالجواب في غير تدبر او روية ٠ انك تريد أن تشترى حياتي ٠٠ وقد تكون حياتي في نظرك تافهة لا قيمة لها ٠٠ ولكنها عندي كل شيء فدعني افكر واتروى ٠

- ولكنك ستحضرين ٠

- لست ادرى ٠٠ اني ارى انك تعتقد أن هناك اشياء كثيرة لا تقبل نقضا او جدلا ٠

- انك ستحضرين ٠

ووضع يده على كتفها ٠٠ وارتعدت للمسته على الرغم منها ٠٠ وخيل اليها ان في هذه اللمسة الرهيبة خطرا اشد هولا من الموت ٠

وتمتمت تقول :

- نعم ساحضر ٠٠ ولكن ارجوك ان لاتلمسني الان ٠

وابتعد عنها فوجيل ولم يوجه اليها كلمة واحدة حتى انزلها على الشاطىء اذ قال لها :

- سنلتقى اذن في منتصف الحادية عشرة ٠٠ واذا شئت اوفدت اليك احد خدمي ليساعدك على حزم حقائبك ٠

- كلا ٠٠ لا داعي لذلك ٠٠ طاب مساؤك ٠

ورفع يدها الى شفتيه فقبلها ثم دار على عقبيه وانصرف ٠

ولما رجع الى اليخت سأل الرجل الذى كان يقود اللنش عندما ذهب رجاله في اثر الطارق الليلي :

- اين وضعت الاسير يا كارلوف ؟

- في الغرفة رقم ٩ ٠٠ وهو مقيد مكموم الفم ٠

- اعرفت من يكون ؟

- كلا ٠٠ فما رأيته قبل الآن ٠ ولكن يحتمل ان يكون قد رآه احد رجالنا الذين يتولون المراقبة على الشاطىء ٠

ولم يقل فوجيل شيئا وانما قصد الى قاعة الاستقبال فالفى الاستاذ بول جالسا وحده يطالع احدى الصحف ٠

ونحى الاستاذ الصحيفة عن عينيه وهو يقول :

- ليت شعرى هل يرجى صعود آخر لاسهم مناجم الذهب ؟ فان لدى كمية منها احب ان ابيعها باحسن سعر ممكن ٠

- سل شطنبرج فهو خبير بالمسائل المالية ٠٠ ولكن اين هو ؟

- لا ادرى ٠٠ لقد انبأني انه ذاهب الى غرفة الآلات ليتأكد من ان الوقود كاف لرحلة الغد ٠

وادرك كورت فوجيل ان شطنبرج لم يذهب الى غرفة الآلات وانما ذهب الى المقصورة رقم ٩ ليستجوب الاسير ٠ واستحمق منه هذا التعجيل الذى لا داعي له ٠

حقيقة ان الاستاذ بول خالي الذهن مما يجرى وراء الستار ولا تداخله ريبة في نوايا فوجيل ٠٠ وحقيقة ان الغرفة رقم ٩ بنيت خصيصا لمثل هذه الاغراض وشيدت جدرانها بطريقة علمية بحيث لا ينفذ منها الصوت حتى ولو اطلقت رصاصة في داخلها ٠٠ ولكن ليس من الحكمة ان يترك شطنبرج الاستاذ بول وحده ويمضي الى الاسير فقد يخطر للاستاذ ان يتمشى في ارجاء الباخرة ٠ وقد تقوده قدماه الى الغرفة السرية ٠

ولبث فوجيل جالسا مع الاستاذ حتى نهض هذا واقفا مبديا رغبته في ان يأوى الى مخدعه ٠

وعند ذلك قصد فوجيل الى الغرفة رقم ٩ وقد صمم عزمه على ان يرغم الاسير على الكلام وينتزع منه اسراره ولو اضطر الى كيه بالحديد المحمى ·

ودق الجرس المثبت في باب الغرفة ·· ولكن شلنبرج لم يبادر الى فتح الباب ·

وارسل بصره الى ثقب القفل فوجد أن المفتاح موضوع فيه من الخارج ·

وادار المفتاح ·· وهم بالدخول · ولكنه شعر بأن اصابعه تلوثت بمادة لزجة لينة فعجب للامر ونظر الى يده على ضوء المصباح المثبت في سقف الممشى فرآها ملوثة بالدماء !

ودفع باب الغرفة ودخل فالفاها غارقة في الظلام ·· وامتدت يده على عجل الى الزر الكهربائي فسطع النور في المكان ·

وهنا رأى فوجيل منظرا عجيبا : كانت حبال ممزقة ملقاة على الارض ·· وفي وسط الغرفة بركة من الدماء ·· والى جانب البركة كان شلنبرج طريحا على الارض وهو جثة هامدة ؟ ·

او هذا على الاقل هو ما خيل لكونت فوجيل ·

لقد ظن في أول الامر ان شلنبرج جثة هامدة ·· ولكن الواقع ان الدماء التي كونت الى جواره بركة صغيرة انما نزفت من أنفه واسنانه · وما كان جموده وسكون حركته الا لانه غائبا عن الوعي !

الفصل الثالث عشر

عندما انقذ تمبلار البوليس السري جون مندرسن من الغرفة السرية كان المسكين لا يزال فريسة لتلك الغيبوبة الطويلة التي حلت به اثر الضربات التي كالها له رجال فوجيل ·· فلما نقله القديس الى يخته اضطر ان يسحبه وراءه في الماء سحبا · ولما بلغ اليخت خف خادمه هوراس الى مساعدته على انتشاله ·

وقال هوراس يسأله :

ـ من هذا ؟

ـ سمكة حمقاء .. او بعبارة اخرى بوليس سري لا يفهم من الدنيا شيئا ·· ومما يؤسف له انه لا يحبني ·· لقد حاول ان يموت مرة الليلة فلما انقذته ابى ان يشكرني ·

ـ وهل هو ميت الان ؟

ـ كلا ولكنه قريب الى الموت ·· وفي راسه قطعة ناتئة بارزة في حجم التفاحة ·· ولا اظنه سيكون مبتهجا عندما يستيقظ ·

وطرحا مندرسن على ظهر اليخت ونزعا عنه ثيابه وعلقاها حتى تجف واخذ تمبلار يقوم له بعملية التنفس الصناعي حتى دبت اليه الحياة فاخذ يتنفس بانتظام ويتوجع ويتأوه .. ولما فتح عينيه دار بهما فيما حوله ثم تمتم يقول :

ـ أين انا ؟

فاجابه القديس في صوت عطوف :

ـ انك في يخت آخر · والى يسارك الميناء والى يمينك البحر · وامامك سيمون تمبلار ·

فحملق فيه مندرسن بعينين ترسيان بالشرر ثم تمتم يقول :

ـ هذا ما ظننت .

واقبل هوراس يحمل اقداح الشراب فتناول مندرسن كأسا افرغها في جوفه ثم قال في لهجة خشنة :

ـ عليك اللعنة ! من الذي طلب اليك ان تاتي بي الى يختك ؟

ـ لست انت على اية حال .

ـ الم تنبئني بانك لن تتدخل في شئوني في المرة التالية وانك لن تحاول ان تنقذني ؟

ـ هذا صحيح .

ـ وماذا تنتظر مني ؟ انتظر ان اجثو على قدميك فاقبلهما شاكرا فضلك مقرا بجميلك ؟

ـ كلا بالطبع .. فاني لا احب شكلك وانت في هذا البنطلون القصير .

وكان البنطلون خاصا بهوراس اذ ان ثياب مندرسن كانت لا تزال مبتلة وموضوعة على احد المقاعد لتجف .

وصاح مندرسن في صوت حانق :

ـ اني لم اطلب اليك ان تنقذني فلا تنتظر مني شكرا .. واذا كنت تتوقع اني ساعتبر انك اسديت الى جميلا فانت مخطيء في هذا الظن . اتظن انك بمثل هذه الاعمال تستطيع ان تخدعني وتتقرب الى كما خدعت لوريت باخ وتقربت اليها ؟ كلا .. اني لست من هذا الطراز الذي يخدع بسهولة .. يمكنك ان توثقني بالحبال وتعيدني الى اليخت فالكنبرج حيث نبدأ من حيث كنا .

فنظر اليه القديس طويلا ثم قال :

ـ هذا اقتراح جدير بالتفكير .. خبرني .. هل اشتغلت مع انجريك طويلا ؟

ـ عشرة اعوام .

ـ اذن فلا بأس .

ـ لا بأس باي شيء ؟

ـ لا بأس بان اقتلك او اسلمك الى كيرت فوجيل ليقتلك .. فلن يحزن موتك انجريك اذ لا شك انه سئم وجهك الدميم وقد رآه عشرة اعوام كاملة .

ـ حقا !

ـ نعم .. واعلم انك اذا وقفت في طريقي مرة أخرى فساسدد الى وجهك لكمة تطيح باسنانك كلها فلا يكون لك من طعام الا اللبن .. على ان تتناوله من بزازة !

وساد صمت قصير قطعة تمبلار بقوله :

ـ والآن اصغ الي . وللمرة الاخيرة يجب ان تعلم انهم يعدون لك قبرا مزينا بالورود والازاهير .. ولكن لا أريد لك أن تدفن الآن .. وليس معنى هذا أن امرك يهمني اذ كل ما هنالك انى اخشى ان يكتشف امر لوريت بوقوعك اسيرا بين يدى فوجيل . لم تكن في نية فوجيل ان يطلق عليك النار . وانما كان يعنيه اكثر من ذلك ان يرى تأثير الحادث في نفس لوريت . وهذا هو السبب الذي دفعني الى انقاذك في المرة الاولى ، اما في المرة الثانية فانقذتك لانهم كانوا احرياء بان يعرفوا شخصيتك عندما يرون وجهك فيذكر لهم جاسوسهم انك زرت لوريت في غرفتها في الفندق . واذا حدث هذا فقد انتهى امر لوريت وقضى عليها القضاء المبرم . فرايت ان اخف الى انقاذك على الفور حتى لا اتيح لهم فرصة يعرفونك فيها .. وفضلا عن هذا فاني اعرف ان كيرت فوجيل يحب ان يكوى خصومه بالحديد المحمى .. وانا رجل اكره ان اغط في

تومى وانا اعرف ان هناك غبيا مثلك سيكوى بالنار مثلا تتوهمن انى اهتم بك بصفتى ابا رحيما وبصفتك طفلا سانجا غريرا !

فنظر اليه مندرسن ساخرا وقال :

ـ ولكنك فيما ارى تحب أن تكون أبا للوريت ۰۰ ؟

ـ هذا شأنى ۰

ـ وشأنى انا أيضا ۰

ثم اردف فى صوت صاخب قائلا :

ـ اسمع يا تمبلار ۰۰ انى اعرفك حق المعرفة ۰۰ انك لص معروف ، ولا يمكن ان تكون رجلا شريفا .. واذا كنت لا تزال حرا طليقا حتى اليوم فانما يرجع ذلك الى براعتك فى تضليل رجال البوليس وحرمانهم من الادلة التى تثبت سرقاتك ۰۰ يحتمل انك خدعت بعض الناس بما تدعيه من حبك للفقراء ونقمتك على الأغنياء وانك انما تأخذ من هؤلاء لتعطى اولئك .. ولكنه لن تخدعنى بهذه الاباطيل ۰۰ انك يا تمبلار لا تهتم بعمل الا لكى تنال من ورائه مالا ۰۰ وما اهتمامك بمسألة السفن الغارقة الا لانك تطمع ان تجنى من ورائها الشىء الكثير ۰

فنظر اليه القديس باسما وقال :

ـ وانت ؟ اتريد ان تقول انك لا تجنى شيئا ؟

ـ انى اتناول مرتبا قدره مائة دولار فى الاسبوع ۰۰ ولكن لا مطمع لى غير هذا ۰

ـ اتريد ان تقول انك تعتقد انى لا يمكن ان ارضى بمائة دولار اسبوعيا ۰۰ ؟

ـ انت ترضى بمائة دولار ۰۰ ؟ لو كان الامر كذلك لاشتريتك على الفور ۰

ـ واين اموالك .. ؟

ـ ولم تسأل ۰۰ ؟

ـ لابيع نفسى اليك ۰۰ بمائة دولار فى الاسبوع تستطيع ان تستغل ذكائى ۰۰ وانت فيما ارى فى حاجة ماسة اليه .. فضلا عن انى سأغامر بنفسى فى المتاعب ، ولعلك لاتجهل انى مطبوع على الولع بالمتاعب ۰۰ انى احاول ان اقنعك يا مندرسن بأنى قد اصبحت رجلا شريفا وليس لى من غرض فى الحياة الا ان اكفر عن خطاياى وآثامى ۰

فقال مندرسن مزمجرا :

ـ اما انا فأحاول أن اقنعك بأنى لست غبيا ، ولذلك لا تستطيع ان تدير رأسى مهما حاولت ۰ فاذا كنت قد استطعت أن تخدع لوريت فليس فى وسعك ان تخدعنى ۰۰ انى أعرف نواياك يا تمبلار ۰۰ انك تريد ان تزيح نوجيل من الطريق لكى تحل مكانه ۰۰ وهذه هى كل بغيتك ولن تستطيع أن تزحزحنى عن اعتقادى هذا مهما اوتيت من البلاغة والمنطق والقوة على الاقناع ۰

وتنهد القديس فى يأس وقنوط وقد ادرك ان من العبث أن يحاول اقناع الشرطى الامريكى العنيد بحسن نواياه واخلاصه فقال :

ـ ۰۰ ايه هذا شأنك يا مندرسن ۰ فليس فى وسعى أن احولك من غباوتك ۰۰ ولكن ما دمت مصرا على هذا الرأى بازائى فعلى أن افكر فيما ينبغى أن اصنع بك ۰

فقال مندرسن :

ـ لا تهتم بأمرى ۰۰ اعطنى ملابسى حتى انصرف ۰

ـ المسألة هى ، هل ادعك تنصرف ام لا ادعك ؟

فقطب مندرسن حاجبيه وقال يسأله :

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أعني اني أكره منك أن تعترض طريقي ·· لقد انقذتك مرتين ولا يتسع وقتي لانقاذك مرة ثالثة ·· فاني اريد أن اتفرغ للعمل العظيم الذي شرعت فيه · وتدخلك الاحمق يفسد خططي ·· فالرأي عندي يا مندرسن هو أن احبسك في مكان لا تستطيع منه فرارا حتى لا تقدم على حماقاتك المعهودة ·

الفصل الرابع عشر

عندما سمع مندرسن كلمات تمبلار هب واقفا واقترب منه وهو يقول في وحشية :

ـ ماذا تقول ؟

ـ اقول اني ساضطر الى حبسك في احدى غرف اليخت حتى اطمئن الى انك لن تعرض نفسك للموت مرة ثالثة ·

ـ انت تحبسني ؟

ـ نعم ·· كما يحبس المجانين ·· هذا الا اذا كنت تحب أن يرسل رجال فوجيل رصاصة تستقر في امعائك ·

وفي تلك اللحظة فطن القديس الى صوت مجداف يضرب الماء في خفوت ·

وعلى الرغم من اهتمامه بمخاطبة مندرسن تنبه ذهنه الى الحقيقة ·· وعرف على الفور انه صوت قارب يدنو من اليخت ·

وفهم تمبلار كل شيء ·

وفي سرعة البرق تحركت يده فأصابت فك مندرسن في لكمة هائلة جعلته يترنح ويسقط على الارض غائبا عن الوعي دون أن تصدر عنه آهة واحدة ·· وكانت هذه

اللكمة هي الوسيلة الوحيدة للتخلص من جدله ليتفرغ لاستقبال القادمين ·

وحمل القديس مندرسن ودخل مسرعا الى قاعة الالات فطرحه على الارض وهو يقول لخادمه هوراس :

ـ خبئه ·· ! خبئه سريعا ·· ؟

ثم خرج الى ظهر اليخت وقذف الى الغرفة بثياب مندرسن التي كانت موضوعة على المقعد لتجف ·

وما كاد يفعل هذا حتى كان القارب قد وقف الى جوار اليخت ·· وارتفع صوت أحد رجاله يقول :

ـ يا رجال « كورسير » ·· يا رجال كورسير ·

فبرز القديس الى سطح اليخت يمشي في هدوء وسكون كأنما لم يقع شيء على الاطلاق وقال :

ـ من هناك ·· ؟

فارتفع صوت كبير فوجيل يقول :

ـ انني فوجيل ·· اتسمح لي بالصعود الى يختك لحظة واحدة ·

ـ بكل ارتياح ·

ومد القديس يده اليه يساعده على الصعود فقال فوجيل في صوته الاجوف الرنان :

ـ انها فيما اعتقد ليست بالساعة المناسبة للزيارة ·· ولكني كنت مارا من هنا فتوقعت ان اجدك مستيقظا ·

ـ اني في العادة لا أنام مبكرا ··

وقاده الى قاعة الاستقبال ورفع صوته ينادي خادمه :

ـ وقال فوجيل وهو يشعل سيجارة قدمها اليه تمبلار ·

ـ ان ما دفعني الى زيارتك الان انما هو رغبتي في أن اتأكد من ان عزمك صح على مرافقتنا في الغد ·· عن

المحتمل أنك ظننت أن دعوتي لك جاءت عفوا ، فجئتك لأؤكد لك انه يسرنا أشد السرور أن تصحبنا ٠

ـ اني شاكر لك هذا التلطف ٠ ٠

ولما دخل هوراس أمره بأن يأتي بالشراب ٠٠ فلما رجع يحمل الاواني والاقداح نظر اليه تمبلار نظرة ذات معنى فسار هذا قليلا بحيث صار في موضع لا يراه منه فوجيل ثم غمز له بعينه غمزة خفيفة فهم منها تمبلار انه اخفى مندرسن ٠

وقال القديس مسترسلا :

ـ لقد صح عزمي على الحضور ٠

ـ اذن سنكون في انتظارك ٠ وسترافقنا لموريت ايضا ٠

ـ من التي سترافقنا ؟

ـ مس باح ٠٠ وانت تعرفها طبعا ٠

وكان تمبلار يصب الشراب في القدح فلم ترتعد يده ٠ وقال في ثبات :

ـ اظن انني لا أعرفها ٠٠ من هي هذه السيدة ؟

ـ لقد كانت معنا عندما ٠٠ اوه معذرة ٠٠ لقد خانتني ذاكرتي ٠٠ كنت اظن انها كانت معنا عندما التقينا في الكازينو هذا الصباح ٠٠ ولكني ذكرت الان أنها انصرفت قبل أن تحضر أنت ٠ ولكنك ستقابلها في جنوى ٠

فابتسم القديس في ابتهاج ،

ـ اذا كانت جميلة كاسمها فارجو أن اقابلها ٠

ـ ان اليخت سيقلع غدا في الساعة الحادية عشرة ٠٠ ولكن الرحلة لن تستغرق وقتا طويلا فاليخت مزود كما تعلم بالالات البخارية ٠ ان يختك فيما اظن لا يستعمل الا الشراع ٠ ولو انني كنت اصغر سنا مما انا بعشر سنوات أو عشرين لطاب لي أن أزود يختي بالشراع وحده ٠

وكان تمبلار في خلال هذا الحديث يسائل نفسه عن السبب الذي دفع فوجيل الى زيارته في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل ٠٠ لقد ذهبوا بلا شك الى الغرفة السرية ،وجدوا أن أسيرهم قد فر هاربا فهل ايقنوا أن تمبلار هو الذي ساعده على الفرار فجاءوا الى يخته ليتأكدوا من الحقيقة ٠٠ ؟ ام ان الامر كله لا يعدو مجرد وهم وريبه ٠٠ ؟

ودار كيرت فوجيل بعينيه في أرجاء القاعة ثم قال :

ـ انه فيما أرى يخت جميل ٠ كم تبلغ حمولته ؟

ـ خمسة وعشرين طنا ٠

ـ انها حمولة كبيرة ٠

ونهض واقفا وأخذ يفحص جدران الغرفة ويتأمل نقوش السقف ثم تمتم يقول :

ـ بديع جدا ! اني أحسدك ٠٠ ما اجمل أن يكون الانسان ربا ليخت شراعي من هذا النوع لا يشاركه فيه أحد من البحارة ٠ يقوده بنفسه ويوجهه حيث شاء بنفسه ٠٠ لو انني كنت في شبابي لمارست هذه الرياضة البديعة ٠

ثم اردف قائلا :

ـ وهل بقية الغرف جميلة كهذه الغرفة ؟

وادرك القديس على الفور غرض فوجيل من هذه الزيارة ٠٠ لقد جاء عقب فرار مندرسن متذرعا بحجة واهية ليطالب التفرج على اليخت حتى يطمئن الى أن مندرسن ليس موجودا هناك ٠

وقال تمبلار مجيبا :

ـ نعم انها كلها غرف ٠ بهيجة ٠

وانتقل لوجيل الى لحايته فجاة فقال فى بســاطة :

ــ اتسمح بان تفرجنى عليها ؟ انى لم اكن اتصور ان اجد يختا شراعيا بمثل هذا الجمال !

ثم ضحك وقال :

ــ ومن المحتمل ان تغرينى مشاهدته بان ابتنى لنفسى يختا من طرازه ٠

وجذب القديس نفسا طويلا من سيجارته ٠

لم يكن فى وسعه ان يغير مجرى الحديث ٠ فان كيرت لابد ان يرتد الى نفس النقطة التى ينشدها ٠ وما كان فى وسعه ان يعتذر عن اجابة هذه الرغبة والا اثار الشك فى نفس غريمه ٠

ونظر تمبلار الى لوجيل فراى له وجها جامدا لا ينم عن شىء ٠٠ ذلك الوجه الالمانى الساكن الذى يشبه وجه التمثال والذى لا ترتعد فيه عضــلة واحدة ولا تختلج عين ٠

ونهض القديس واقفا بدوره وقال مرحبا :

ــ بكل ارتياح ٠٠ تفضل معى الى غرفة القيادة ٠

الفصل الخامس عشر

لم يغادر تمبلار الغرفة مع ضيفه على الفور وانما اطفا السيجارة التى كان يدخنها واشعل سيجارة اخرى حتى يفسح لخادمه هوراس وقتا يتصرف فيه ٠٠ كان يعلم ان هوراس واقف عند الباب لتلقى اوامره ٠٠ فلا شك انه سمع الحديث الذى جرى بينه وبين ضيفه ٠ فاذا كان على شىء من الذكاء فسيبادر حتما الى نقل مندرسن الى غرفة اخرى غير غرفة الالات ٠

وذهب تمبلار بضيفه الى غرفة الالات وجعل يفرجه على محتوياتها من اجهزة مختلفة تبين سرعة الرياح ٠ وعمق المياه وقوة التيار ٠٠ الخ ولما خرجا من الغــرفة الفى خادمه هوراس جالسا فى نهاية الممشى وقد نشر بين يديه رواية بوليسية وهو منهمك فى مطالعتها ٠ وارسل اليه القديس بصره مستنجدا ٠ متلهفا ٠ محاولا أن يفهم شيئا ! ولكن هوراس ظل على جموده لا يرفع بصره عن الرواية التى بين يديه ولا يحفل بتمبلار او بنظراته الراجية المتوسلة ٠ وكانت سحنته جامدة اراد تمبلار أن يستشف منها شيئا فالفاها قطعة من الحجر لا تشعر ولا تحس ٠

وفتح القديس باب اقرب غرفة اليه وقال محاولا أن يجد فى المزاح ما يهدىء من ثورة اعصابه :

ــ هذا هو المطبخ .. حيث يكسر هوراس الاطباق ويسمم الطعام ! وهــذه هى الثلاجة التى نضع فيهــا زجاجات البيرة لتسخينها !

وابتسم كيرت جذلا ٠ ولم يلق على المطبخ نظرة وانما فتح الثلاجة ونظر فيها مبديا اعجابه بها ٠٠ بل لقد امسك المفرش المنشور على المائدة ورفع اطرافه المتدلية على الارض والتى قد تخفى مندرسن تحت المائدة وقال :

ــ مفرش جميل ! من اين اشتريته ؟

ولما اشار تمبلار الى خزان الماء تمتم لوجيل يقول :

ــ أهذا خزان الماء ؟ بديع جدا ! فلاتفرج عليه ٠

وصعد السلم المثبت الى جانب الخزان ورفع غطاءه قليلا ونظر فى داخله ٠

وهكذا لم يدع مكانا فى المطبخ يمكن أن يختبا فيه مندرسن الا فتحه ونظر فى داخله ٠٠ وهو فى كل هذا يتظاهر برغبته فى المشاهدة مبديا اعجابه بما يرى ٠

ولما خرجا الى المشى ثانية القى تمبلار نظرة على هوراس يستفسر بها عما فعل خادمه الامين لمقابلة الموقف · ولكن هذا كان لا يزال على عهده منهمكا فى قراءة قصته البوليسية لا يحفل بما حوله قامت الدنيا أو قعدت ·

وأشار تمبلار الى باب احدى الغرف وقال :

ـ وهذا هو الحمام ·

وهم بان يتابع سيره اذ كان يعتقد أن الحمام هو أصلح مكان اختاره هوراس لتخبئة مندرسن ولكن كيرت قال على الاثر :

ـ الحمام ·؟ حقا ·؟ لا شك انه يكون أعجوبة فى مثل هذا اليخت الصغير الجميل !؟ · اتسمح لى بان اتفرج عليه ·؟

ولم ينتظر جوابا بل فتح الباب واطل برأسه الى داخله فقال تمبلار :

ـ ليس فيه ما يستحق المشاهدة ·

ولكن فرجيل لم يحفل بهذا الاعتراض · ووقف القديس عند الباب وهو يتوقع أن يستدير اليه فرجيل وفى عينيه نظرة تدل على الانتصار عندما يرى مندرسن راقدا فى حوض الاستحمام ·

ولكن كيرت استدار اليه بعد لحظات ووجهه على عهده جامد جذل لا يدل على انه اكتشف شيئا جديدا وقال :

ـ حمام بديع ·! لقد جمع كل أسباب الترف · وفيه دوش أيضا ! · الحق انى اسائل نفسى عما اذا كنت قد نسيت شيئا تزوده به يختك ؟

وانتهيا الى باب آخر أومأ اليه تمبلار قائلا :

ـ هذه غرفة صغيرة لا أهمية لها ·

فكان جواب فرجيل ·

ـ كيف تزعم انها لا أهمية لها وانا ارى ان كل شىء فى يختك يدعو الى الاهتمام والاعجاب ·!

وفتح باب الغرفة ودخل ·

وكان فى الغرفة فراش منصوب فى ركن منها وقد كومت الاغطية عليه فدس فرجيل يده فيها ظنا منه أن من المحتمل أن يكون مندرسن نائما فى وسطها وقال :

ـ اغطية سميكة ·· اصبت فان البرد يشتد فى بعض الاحيان ·

ثم رفع الملاءة التى تغطى السرير وتتدلى على الارض ونظر تحت السرير وقال :

ـ وهل هذا السرير مصنوع من الحديد أو الخشب ·؟ من الخشب هذا بديع ·!

وكان تمبلار فى خلال هذا يشعر بالحرج ودقة الموقف وقد أزعجته أساليب فرجيل الماكرة وثقلت على أعصابه حتى لقد خطر له أن يصيح بملء صوته :

ـ نعم ايها الاخ ·· ان مندرسن موجود عندى · !

لكى يتخلص من هذا الموقف المشحون بالكهرباء والذى يهيج الاعصاب ·· بل لقد تمنى ان يعثر فرجيل على مندرسن فى أول غرفة يدخلانها حتى ينتهى الامر ويتبدد هذا القلق الذى استولى عليه ·

ولما بلغا طرف اليخت كانت هناك غرفة صغيرة قائمة وحدها فرأى فرجيل الا يحرمها من اعجابه · كما انه أسبغ هذا الاعجاب على دولاب الملابس وعلى الثياب المصفوفة فى داخله ·

هكذا استمر كيرت فرجيل يطوف باليخت دون ان يدع ركنا لا يتفرج عليه · أو دولابا لا يفتحه او سريرا

لا ينظر تحته . وكان يقوم بهذا التفتيش بدقة استغرقت وقتا طويلا جعل تمبلار يعتقد ان العمر تقدم به عشرة اعوام وان ليس ثمة ما يدعو الى الاستغراب اذا رأى لحية بيضاء تبدو له .

وقال فوجيل :

– صدقنى ان هذا اليخت اجمل ما رأيت . لو انك كنت تاجرا تبيع هذه اليخوت لكنت أول عميل لك .. وما هذا الباب الذى يقع فى نهاية المشى ؟

– انها غرفة خادمى هوراس .

وكان تمبلار يعتقد أن هوراس لابد ان يكون قد خبأ مندرسن فى غرفته مادام لم يخبئه فى الغرف الاخرى .

وقال كيرت فوجيل :

– غرفة هوراس هذه .. ! ليت شعرى أهى جميلة كسائر غرف اليخت ومضى اليها .

ووقف القديس عند الباب وقد نمت سحنته عن عدم الاكتراث اذ أيقن ان اللحظة الحاسمة قد دنت بل لقد وضع يده على جيبه استعدادا لمقابلة الطوارىء بمسدسه ، ولم ينتبه الا على صوت فوجيل وهو يقول :

– هذا بديع !

فلحق به الى داخل الغرفة .. وأدهشه انه لم ير مندرسن فيها !

– يخت جميل جدا .. أهذا كل شىء ؟

– نعم كل شىء .

– وهذا ؟

– هذا هو العنبر

– عنبر بديع جدا .. اذن فلديك عنبر فى اليخت ؟

وكان العنبر هو المكان الوحيد الذى لم يتفرج عليه كيرت فوجيل . فكان بطبيعة الحال هو المكان الوحيد الذى حبس فيه مندرسن .

وارتقى فوجيل السلم المفضى الى العنبر ففتحه ونظر فى داخله واخرج القديس من جيبه منديلا مسح به جبينه الذى كاد ان يتصبب عرقا .

ولكن مندرسن لم يكن موجودا فى العنبر !

وقال كيرت فوجيل :

– انى آسف جدا .. يظهر ان شدة اعجابى جعلتنى لا اقيم وزنا للوقت الذى ضيعته عليك .. وما كان ينبغى ان اقوم بزيارتى فى مثل هذه الساعة المتأخرة . ولكنى اؤكد لك ان هذه الزيارة فى نظرى شيقة الى اقصى حد . وقد افادتنى من كل الوجوه .

وضغط على جملة «من كل الوجوه» وهو ينطق بها .

ودعاه تمبلار الى قاعة الاستقبال ليتناول قدحا اخر من الخمر ولكنه اعتذر قائلا :

حسبى ما اضعت من وقتك .. اذن سنلتقى غدا فى سانت بيتر ؟

– نعم . وارجو ان اصل فى موعد الشاى .

وماكاد كيرت فوجيل يبتعد بقاربه حتى هرع تمبلار الى خادمه هوراس وقال له :

– تعال ايها الشيطان .. اين اخفيت مندرسن ؟ هل القيته فى البحر ؟

– كلا .. ولكنى سمعت ضيفك وهو يطلب أن يتفرج على اليخت فأدركت دقة الموقف وكنت قد اخفيت مندرسن فى العنبر فاسرعت اليه وجذبت الشراع ومددته اليه ثم جذبت الحبال فانطوى الشراع عليه .

ـ أتريد أن تقول أن مندرسن مخبأ داخل الشراع ؟

ـ نعم ياسيدي .. ولعلك لاحظت أن الشراع مطوي وقد كان منشوراً من قبل .

فربت القديس على كتفه وقال :

ـ انك اعجوبة دهرك .. ! ولكن ألم يرك البحار الذي كان في القارب ؟

ـ كلا . فقد كان في الناحية الاخرى من اليخت .

ـ انك مدهش كان في نيتي ان اقتلك يوما ما بان أفرغ في صدرك عشر رصاصات .. أما الآن فاكتفي بثلاث !

ثم اردف قائلا :

ـ والآن اذهب وعد الي بمندرسن .

ورجع هوراس وحده متجهم الوجه منقبض السحنة فقال له تمبلار ؟

ـ ماذا دهاك ؟ ان من يراك قد يحسبك دجاجة توشك ان تبيض ولكن اين مندرسن ؟

فكانت الجواب :

ـ لم اجده في الشراع . لقد هرب !

الفصل السادس عشر

نهض القديس واقفا في بطء وقال مرددا :

ـ هرب ؟

ـ نعم ياسيدي

وخرج تمبلار الى ظهر اليخت وارسل بصره الى الشراع المطوي الذي خبأ فيه هوراس الاسير فالقاه مشقوقا شقا يتسع لثغرة يخرج منها الرجل.فلم يكن الامر بعد هذا في حاجة الى ايضاح . اذ لا ريب أن مندرسن استفاق

من غيبوبته اثناء طواف تمبلار بضيفه فشق الشراع بمطوانه وقفز الى ظهر اليخت وتسلل هاربا .

على أن فكرة أخرى طرأت على بال تمبلار . الا يحتمل ان يكون البحار الذي في القارب قد رأى هوراس وهو يطوي الشراع على مندرسن فانبأ كيرت فوجيل بالامر عندما نزل الى قاربه فداروا حول اليخت ومزقوا الشراع وخطفوا مندرسن ؟ ولكنه مالبث ان استبعد هذه الفكرة حين حسب حسابا للوقت اذ رجح لديه ان الدقائق القليلة التي مضت منذ انصرف فوجيل لا يمكن أن تكفي للدوران حول اليخت والتسلل اليه واختطاف مندرسن .

وتمتم القديس يقول :

ـ لافائدة من اللحاق به الى الشاطيء فاننا في وقت الجزر والارض قريبة منا . واغلب الظن انه استطاع ان يبلغ شقته !

وضايقه فرار مندرسن لانه كان بتصرفاته الحمقاء كفيلا بان يفسد خططه ويعكس أغراضه . فما العمل لاتقاء هذه النكبة التي ينتظر أن تحل به بفضل مندرسن وحماقته .. ؟

وهنا طرأت بباله فكرة ثانية .. الا يحتمل ان يكون رجال فوجيل الذين في القارب قد رأوا هوراس وهو يخبيء مندرسن في الشراع فلما انبأوا سيدهم بالامر في عودته الى اليخت لم يفكر في أن يرتد ثانية الى تمبلار وانما تابع سيره متظاهرا بانه يجهل العلاقة التي بين تمبلار ومندرسن وغرضه من ذلك واضح وهو ان لا يجعل الشك يتسرب الى صدر تمبلار حتى اذا لبى دعوته في الغد وذهب الى يخته في ميناء سانت بيتر امكنه أن يتخلص منه الى الابد اذ أن تمبلار سيذهب الى اليخت وهو خالي الذهن من أن فوجيل يعرف الحقيقة .

وفكر القديس في الامر طويلا وجعل يتصور الموقف .. سيعرف فوجيل ان تمبلار لا يعرف انه عرف . ولن يعرف تمبلار اذا كان فوجيل عرف أو اذا كان يعتقد على أن تمبلار يعرف ان فوجيل لا يعرف انه عرف وسيدخل فوجيل يتساءل عما اذا كان تمبلار عرف انه عرف انه عرف او انه لم يعرف .. ان المسألة قد يظهر كالارقام العشرية التي لا تنتهي ولكن النتيجة التي لا شك فيها هي ان تمبلار يمكن ان يذهب الى ميناء سانت بيتر وهو يعتقد أن فوجيل لا يعرف بصفة مؤكدة اذا كان تمبلار عرف انه عرف كما أن فوجيل يمكنه ان يوجه الدعوة الى تمبلار دون ان يجرؤ هذا على الرفض والا كان في رفضه اعتراف بأنه عرف أن فوجيل عرف أنه عرف أن فوجيل عرف .. او العكس بالعكس .

وشعر تمبلار بأن رأسه دارت وان عينيه غامتا فاقلع عن التفكير في هذه المعضلة الملتوية .. ! وقرر ان ينام فورا ليريح رأسه من هذا العناء .

وعندما استيقظ في الصباح جلس على ظهر اليخت يتناول طعام الفطور . وحين ارسل بصره الى اليخت فالكيري رأى رجلا جالسا على ظهره وفي يده منظار مصوب اليه . فايقن انه صار في عداد المشبوهين وانهم يراقبون حركاته وسكناته .. ولعلهم يعتقدون أن مندرسن سيظهر في اليخت .

وما كاد اسم مندرسن يخطر ببال تمبلار حتى ادرك الخطر المحدق بلوريت باج . ان لوريت لا تعرف أن بعض افراد العصابة قبضوا على مندرسن بالامس وانهم رأوا وجهه . فاي اتصال لها بهذا الشرطي الامريكي كفيل بان يجعل فوجيل يتأكد من ان لوريت تتجسس عليه .

واستقر عزم تمبلار على ان يبادر الى فندق اوتيل دي لامير لكي يخطر لوريت بحقيقة الموقف لكي تعدل عن الذهاب الى يخت فوجيل فامر هوراس بانزال القارب الى البحر ووثب اليه وشرع يجذف متجها الى الشاطيء .

وبينما كان في طريقه الى الفندق اذ لمح مندرسن فجأة مقبلا عليه وهو ينتزع قدميه من الرمال انتزاعا .

ونظر اليه مندرسن نظرة تنطوي على التحدي .. ولكن تمبلار تجاهله وتابع سيره اذ كان يعلم أن اليخت سيقلع في الساعة الحادية عشرة وكان لابد له ان يلتقي بلوريت قبل ان تمضي الى اليخت حتى يثنيها عن الذهاب اتقاء للخطر الذي يتهددها .

وقال مندرسن يسأله في تهكم :

ـ يظهر انك لا تعرفني ياتمبلار .

فقال له تمبلار في حنق وهو يصر على اسنانه :

ـ بودي ان اقول لك شيئا . ولكني اخجل ان اكاشفك به امام هؤلاء الناس جميعا .

فهز مندرسن كتفيه وقال هازئا :

ـ انك فيما اعرف تجيد الكلام باللكمات اكثر مما تجيده باللسان .

ـ هذا لان التحدث باللكمات هو الوسيلة لاقناع امثالك من ذوي الادمغة العنيدة .

ـ اذا كنت شجاعا فالكمني الان . فانك ان حاولت ان تلكمني جاء هذا الشرطي الذي يتمشى على الافريز ليستفسر عما حدث .. وعندما يأتي سأقص عليه الشيء الكثير عنك .. اسمع ياتمبلار دعك من التدخل في هذه المسائل واياك ان تسافر الى سانت بيتر والا فالويل لك .

فقال القديس :

ـ انى مقدر نصيحتك حق التقدير ، ولكن دعنى أصلح لك رباط عنقك ·

وفى نفس اللحظة تحـــركت يـــد تمبلار بسرعة البرق فاصابت ذقن متدرسن بلكمة عنيفة جعلته يترنح ووقع على الارض قبل ان يشعر احد من الذين يتريضون على الشاطىء بما حدث ·

وكان تمبلار اول من خف الى نجدة متدرسن · فانحنى فوقه وجعل يروح على وجهه بمنديله ·· واسرع الى تمبلار أقرب الواقفين اليه فقال له هذا :

ـ لقد اصيب بضربة الشمس ·

فقال النائم ،

ـ الواقع ان الحرارة شديدة اليوم ·

وهكذا سرت الفكرة بين الذين احتشدوا حول المغمى عليه ان المسكين اصيب بضربة شمس وقال أحد الحاضرين :

ـ فلنعمل له التنفس الصناعى ·

فاجابه القديس :

ـ تفضل ·· تفضل

ووكل اليه مهمة تنبيه متدرسن من اغمائه واسرع الى الفندق ·

ولكن قبل ان يدخل اليه وقف جامدا مكانه وقد تستر باحد الاعمدة ·· لقد فات الاوان ولم يعد هناك مجال لانقاذ لوريت ·

وذلك انه رأى لوريت خارجة من الفندق والى جوارها كرت فوجيل ·

الفصل السابع عشر

نشر اليخت كورسير قلاعه واخذ يشق طريقه فى البحر متجها الى ميناء سانت بيتر تدفعه الرياح ويتولى ادارة دفته سيمون تمبلار ·

وكانت الريح قوية مؤاتية ساعدت على سرعة السير وضاعفت من رجاء تمبلار فى ان يصل الى الميناء فى موعد العشاء ·

ولكن مهما بلغت مهارته فى القيادة .. ومهما واتته الريح .. فانه سيصل حتما بعد وصول اليخت فلاكبرج ببضع ساعات اذ كيف تقاس سرعة المحركات بتلك الوسائل الساذجة التى لا تعتمد الا على الشراع ·

وكان طول الرحلة يتدبر الموقف ويقلب الرأى على وجوهه المختلفة لقد رأى لوريت فى رفقة فوجيل ·· ومن المؤكد انها الان على ظهر اليخت ·· ولكن فيم سأل عنها فهل هناك أسهل من أن يكون الجواب :

ـ لقد عدلت عن الحضـــور ·· أو لـــقد زلقت قدمهـــا فسقطت فى البحر واستحال انقاذها ·

وسيجد كرت فوجيل عشرات من رجاله يقسمون معه على ان هذا هو ما حدث ·· للرجل الذى قتل من قتل ثلاثة رجال دون ان ترقى اليه الشبهات ايعجزه اليوم أن وقتل هذه الفتاة المستضعفة .. ؟

ولما وصل « كورسير » الى الميناء الفى ان اليخت فلاكبرج سبقته اليها وألقى مراسيه فيها فدعا تمبلار اليه خادمه هوراس وقال له :

ـ عليك أن تراقب هذا اليخت ·· ولكن دون ان تدعهم يلحظون انك تراقبهم ·· واذا رأيت فتاة تغادره ·· أو

اذا رايت صندوقا او طردا او لفافة يمكن ان تتسع لجسم فتاة فاعلم اين ذهبوا بها .. أفهمت ؟..

ـ تماما ياسيدى .

ونزل تمبلار الى الشاطىء وقصد الى مكتب البضائع فوجد ان في انتظاره طردين جاءا من لندن فامر احد الحمالين بان يذهب بهما الى اليخت اذ كان هذان الطردان هما بذلتا الغوص اللتان مهد الى صديقه روجر بان يبتاعهما .

وفي مكتب البريد وجد في انتظاره برقية هذا نصها :

« العرض ٤٩ ـ ٦١ ـ ٥٦ شمالا ـ والطول ٣ ـ ٢٢ ـ ٤٥ غربا . سنكون في فندق رويال قبل وصولك فقابلنا هناك . الجو هنا بديع وان كان الضباب شديدا . انى مشتاق اليك . انك أنت الذى ستدفع اجر هذه البرقية ولذلك سمحت لنفسي بالاسهاب والتطويل دون داع ساحضر ومعى بيتر »

« روجر »

وكانت الارقام التي تضمنتها البرقية تبين على وجه الدقة المكان الذى غرقت فيه الباخرة شلفونتم التي يسعى كيرت فوجيل الى السطو على شحنتها الذهبية المقدرة بخمسة ملايين من الجنيهات ، وقد استقى روجر كونواى هذه البيانات الدقيقة من شركة لويدز عن طريق احد اقاربه الذين يعملون فيها .

ودس تمبلار البرقية في جيبه ومضى مبتهجا جذلا ، فقصد من فوره الى فندق رويال ووجد هناك صاحبيه روجر كونواى وبيتر كوينتين في انتظاره فلم يبد عليه انه يعرفهما وانما قصد من فوره الى البار واستوى على احد المقاعد وطلب قدحا من الخمر .

واقبل روجر على عامل البار وقال له :

ـ أرجوك أن ترسل زجاجة من البيرة الى غرفتي قبل العشاء . ان غرفتي هي رقم ١٥ .

ونظر تمبلار الى الساعة المعلقة على الجدار وقال يخاطب عامل البار :

ـ أهذه الساعة مضبوطة ؟

ـ اظن ذلك يا سيدى .

فتظاهر تمبلار بانه يضبط ساعة يده وقال :

ـ لا يزال هناك وقت كاف فانى على موعد في الساعة السابعة تماما وواضح أن روجر قصد بجملته أن يسمع تمبلار أن غرفته هي رقم ١٥ كما ان تمبلار قصد أن يسمع روجر أن موعد لقائهما سيكون في تمام الساعة السابعة .

وجلس تمبلار يدخن ويحتسي قدحه .. ولاحظ أن هناك رجلا جلس على مقربة منه ولا يكاد يرفع بصره عنه فادرك انه جاسوس جديد يتعقب خطواته فتظاهر بانه لم يلحظ وجوده ولم يشعر بأن هناك من يراقبه .

وبعد فترة من الوقت طلب تمبلار قدحا من البيرة ثم سأل عامل البار عن غرفة التواليت فوصفها له فغادر تمبلار مكانه وصعد خلسة الى الغرفة رقم ١٥ .. وبعد دقائق .. في تمام الساعة السابعة فتح الباب ودخل روجر يتبعه بيتر .

وكان تمبلار مستلقيا على الفراش وهو مغمض العينين ، فنظر اليه روجر وقال باسما :

ـ مسكين .. انه مستغرق في النوم .

فقال بيتر كوينتين :

ـ معذور .. فلاشك انه كان يسهر مع الحسناء حتى الصباح .

وقال روجر :
ــ أظن اننا لو وثبنا على صدره فهناك أمل فى أن يستيقظ .
ــ أظن ذلك .
ووثبا على صدره .. ففتح تمبلار عينيه وقال :
ــ كأني بكما وحشان هائجان .. تأدبا أيها الاحمقان واسمعا قصتى فانها قصة طريفة .
ــ أفيها مليون من الجنيهات ؟
ــ بل فيها عدة ملايين .
ــ تكلم اذن .
وتكلم تمبلار ..!

الفصل الثامن عشر

قال روجر وقد فرغ القديس من سرد حكايته :
ــ اذن فهذه هى الحكاية .
وكان الشابان ينظران الى زعيمهما بعيون تتألق . وقد تنبهت فى جسميهما كل جارحة من جوارحهما وتحفزت للوثوب وخيل اليهما ان الدنيا استردت بهجتها وانوارها المتلألئة وزايلها هذا الجمود الذى عراها زمنا طويلا .
لقد رجعت الايام الحلوة القديمة .
واسترسل القديس قائلا :
ــ فالمسألة كما ترون ليست فى جمع الادلة فقط ضد كيرت فوجيل اذ أن الحكم عليه بالسجن لا يعود بأية فائدة على شركات التأمين .. اعنى عن الماضى .. فليس يهم هذه الشركات ان يزج فوجيل فى السجن وانما يهمها ان تسترد جانبا من الاموال التى استولى عليها . ويهم انجربيك أن ينال عمولة .. ويهمنا نحن ..

فقال روجر مقاطعا :
ــ يهمنا نحن أن نحصل على عمولتنا .. أما أنت فيهمك أن تحصل على الفتاة .
فنظر اليه تمبلار فى عتاب ثم قال :
ــ ان الامر واضح لا يحتاج فى فهمه الى عناء .. ان شحنات السفن الغارقة مؤلفة عادة من السبائك الذهبية أو من الماس الخام . والتخلص من السبائك او الماس الخام ليس بالامر الهين . فمن المؤكد أن فوجيل يكنز هذه السبائك فى مكان خفى حتى اذا مرت سنوات أمكنه أن يتخلص منها .. فعلينا أن نهتدى الى هذا المخبأ السرى .
فقال بيتر متسائلا :
ــ وما هى الطريقة ؟
ــ انضما الى بحارة فوجيل واذا ما ذهب ليضم الى كنزه سبائك جديدة فاقتفيا أثره .. أو اتخذا أية خطة شئتما ما دمتما قد فهمتما الغرض الذى أرمى اليه .
وقال روجر :
ــ كل شيء واضح عدا ما يتعلق بالبطلة الحسناء .
ــ انها تحاول أن تصل الى فوجيل عن طريق قلبه .. هذا اذا كان له قلب يحس ويشعر .. وهذا هو السبب فى أنها رافقته اليوم فى رحلته ومما يؤسف له انى وصلت بعد فوات الوقت فلم يكن فى وسعى أن أحول دون ذهابها . وعزائى انى كنت اتوقع اصرارها على الذهاب مهما حاولت أن اقنعها .
وساد صمت قصير قطعه تمبلار بقوله :
ــ والان كيف يتم الاتصال بيننا ؟ ان مقابلتنا تنطوى على خطر جسيم فان جواسيس كيرت فوجيل يتعقبون

خطواتي . ولست اريد أن انفضهم عن اثري لانى فى المرتين السابقتين جعلتهم يعتقدون ان الامر جاء عفوا غير متعمد . فالرأى عندى ان يتردد احدكما على هذا الفندق باستمرار فقد تجدان رسالة فى انتظاركما .. واذا تعذر على ارسال الرسائل بهذه الطريقة ساعلق دلوا كبيرا في مكان ظاهر فى اليخت .. فلتفهما من ذلك انى سابعث اليكما برسالة بواسطة الاشارات، انكما لم تنسيا طبعا طريقة التخاطب بواسطة أوراق اللعب .. هذه هى كل تعليماتي .

ـ اهناك شيء اخر ؟

ـ كلا .. ولكن يحسن ان نضيف ان الاستاذ بول سيجرب غرفة الفرص الجديدة فى الغد وقد دعيت الى مشاهدة التجربة .

فشهق روجر وقال :

ـ ولكنك لن تذهب طبعا ؟

ـ بل سأذهب طبعا .. فان من الغباوة أن أنبذ هذه الفرصة النادرة ولا تنس ان فوجيل لا يعلم عندى شيئا معينا .. كل ما فى رأسه شبهات لا تستند الى اساس فاذا انا رفضت دعوته ضاعف ذلك ريبته فى أمرى وفضلا عن هذا فيجب ان اذهب لان ..

فقال روجر ضاحكا :

ـ لان الفتاة هناك !

ـ كلا ايها الغبي .. بل لانني قد اكتشفت شيئا .

ـ نعم .. ستكتشف العالم الآخر طبعا !

فهز الرئيس كتفيه في غير احتفال وقال :

ـ فليكن .. ان الموت قضاء لابد منه . وسواء ذهبت او لم اذهب فان فوجيل لن يدعنى افلت من انتقامه . وليس من شيمتى ان انكص أو أتراجع .

وارتسمت على شفتى تمبلار تلك الابتسامة المعهودة التى تنطوى على الاستهتار .. تلك الابتسامة التهكمية الرائعة التى طالما بثت فى نفوس رفاقه شجاعة لا حد لها .

ونهض تمبلار واقفا ثم قال :

ـ والان وداعا .

ورجع الى البار حيث كان قد ترك الجاسوس فى انتظاره ظنا منه انه ذهب الى غرفة التواليت .

وما رأى الجاسوس تمبلار مقبلا حتى تهلل وجهه اذ ظن حين طال الوقت ان ذهابه الى غرفة التواليت خدعة اراد بها أن يتملص من مراقبته .

وغادر تمبلار الفندق ومشى متجها الى الميناء وهو يسائل نفسه عن مصير لوريت باج .. انها الآن على ظهر اليخت فهل تراها حرة طليقة .. ام سجينة حبيسة ؟ أم ان الامر لا هذا ولا ذاك وان كيرت فوجيل قتلها ؟

وسرت الرعدة فى أوصاله عندما طاف هذا الخاطر بذهنه . ولكنه ذكر عند هذا تلك الكلمات النارية الملتهبة التى ألقاها فوجيل الى الفتاة وهما على ظهر اليخت حين كان تمبلار رابضا فوق سطح غرفة الآلات . كانت هذه الكلمات تدل على ان كيرت مفتون بالفتاة وانه يحبها .. او على الاقل يشتهيها . فمادامت هذه الرغبة الجارفة مستولية عليه قائمة فى نفسه فمن المحال أن ينزل بها الاذى .. كل ما هنالك انه سيرغمها على البقاء فى يخته شبه سجينة يمتص شبابها ويستمتع بجمالها .. فاذا ما تضاءلت رغبته فيها وخمدت جذوته لم يكن ثمة ما يحول دونه والفتك بها .

وخالجه الاطمئنان حين عرف ان لوريت ستظل في امان من انتقام فوجيل ولو فترة من الوقت .

وانتبه بغتة من خواطره على صوت يقول له :

ـ طاب مساؤك يا مسيو تومز .

وحين التفت وجد كيرت فوجيل امامه والى جانبه لوريت باج وفارن شلنبرج !

الفصل التاسع عشر

طفر قلب تمبلار فرحا حين رأى لوريت باج امامه .. وود لو استطاع ان يهتف أو يرقص . ولكن وجهه على رغم انفعاله العنيف ظل جامدا لا ينم عن شيء اذ كان يعلم ان هناك عيونا اربعا ترقبه وتتفرس فيه

وقال مخاطبا كيرت فوجيل :

ـ كان في نيتي ان اذهب اليك الآن .

ـ وانا ايضا كنت أسائل نفسي عن مكان وجودك فقد سألت عنك في يختك فانبأني خادمك انك نزلت الى الشاطيء .. أكانت رحلتك طيبة ؟ .

ـ نعم .

ـ لقد فكرنا في ان نتغدى في احد المطاعم بدلا من اليخت على سبيل التغيير . ولكن دعني أولا اقدمك الى من معي .. هذا هو صديقي مسيو تومز .. مس باج .. ومسيو شلنبرج .

فحياهما تمبلار واغتنم الفرصة لينظر الى وجه شلنبرج فرآه لا يزال متورما من اثر اللكمات الهائلة التي نالها من قبضته فأسالت الدماء من أنفه وفكه .

وقال كيرت فوجيل :

ـ لقد بذل لنا مسيو تومز معونة كبيرة في مطاردتنا لذلك الطارق الدخيل الذي تسلل الى اليخت .

ـ ولكني لم افعل شيئا يذكر .

ـ انك صبرت على الاقل على فضولنا وتهجمنا عليك بالاسئلة .. والآن هل لك في أن تتناول معنا العشاء ؟ .

وما كان تمبلار ينبغي شيئا غير هذا ، فاجاب بالقبول على الفور واردف قائلا :

ـ ولكن أين الاستاذ بول ؟

ـ لقد رفض أن يصحبنا فانه الليلة منهمك في العمل استعدادا لتجربة الغد .

وتناولوا العشاء في احد المطاعم الفخمة . ولاحظ تمبلار ان فوجيل وشلنبرج لا يحاولان مطلقا ان ينظرا اليه خلسة او أن يراقباه ، بل ارادا أن يشعراه بسلوكهما انهما لا يرتابان في امره .

وأخذ تمبلار يسائل نفسه عما اذا كان شلنبرج قد ادرك ان هذا الرجل الجالس ازاءه هو الذي أسال الدم من فمه بالامس .؟ وهل يعرف فوجيل يا ترى انه هو الذي وثب عليه من سطح الغرفة وركله بقدمه في وجهه فأوقعه على الارض .؟ وأي شيء يعرفان عن لوريت .؟ وهل كشفا سرها ؟ . وهل ياترى اساء اليها فوجيل ؛ ام لا يزال يكرمها ويحترمها ولم يكشف لها من نواياه ما يبطن ؟ :

وكان ينظر اليها من حين لآخر وما يستقر بصره على وجهها الا شعر برغبة جارفة تسري في أوصاله وتسيطر على اعصابه. كان يتمنى ان يحتويها بين ذراعيه ويضم جسمها اللدن الغض الى صدره ويطبق على شفتيها الحمراوين بشفتيه اللاهبتين يعتصرهما ويستقي منهما

قبلة تهدىء من ثورة أعصابه وتشيع في نفسه رغبات الحب التي تهزه هزا .

كان لا يراها الا تمنى لو خلا اليها دون العالم فأصغى الى همساتها .. ومناجاتها .. وصوتها العذب الحنون .. فتسمعه في حديثها أعذب ما انفرجت عنه الشفاه .

وأخيرا ألقى نفسه يرقص معها .

فبعد العشاء عزفت الموسيقى تدعو الجالسين الى الرقص فنهض فوجيل ودعا الفتاة الى مراقصته ، ثم دعاها شلنبرج بدوره . وأخيرا نهض تمبلار وتقدم اليها فاحتواها بين ذراعيه وأخذ يدور بها الحلقة .

ومال اليها يهمس في اذنها قائلا :

ـ مضى دهر طويل لم أرك في خلاله .

فقالت باسمة :

ـ اني أذكر أن آخر مرة التقينا فيها كانت وأنا طفلة أحبو .

ـ أما أنا فأذكر اننا التقينا آخر مرة حين كنت طفلا أمص اصبعي

وضحكت لوريت .. وضحك تمبلار

ثم اردف قائلا :

ـ الم تسمعي تلك القصة العجيبة التي حيرت العالم ؟

ـ أية قصة . ؟

ـ لقد وضعت احدى النساء طفلا له عينان .

ـ وأية غرابة في هذا ؟ الم تسمع انت بقصة ذلك الطفل الذي ولد وله انف في وجهه ؟

ـ حقا . ! ما أعجب هذا . !

وضحك الاثنان للمرة الثانية ضحكة جذابة كأنما لا يتهددهما الموت .

وقال تمبلار فجأة :

ـ الم أخبرك من قبل انك جميلة . ؟

ـ كلا . وأكبر ظني انك لم تلاحظ ذلك الا الآن .

ـ هذا لأني كنت أفكر في ذلك الحلم المرهوب الذي حلمته الليلة .

ـ أي حلم .

ـ رأيتك سجينة في غرفة خالية من الابواب والنوافذ فدخلت اليك . !

ـ وكيف دخلت وليس للغرفة باب أو نافذة . ؟

ـ لا أدري .. كل ما أعرف هو اني دخلت اليك وانقذتك في اللحظة التي رأيت فيها جلادا يهم بأن يهوي على عنقك بسيفه .

وكانا في أثناء ذلك يدوران في أرجاء القاعة الحافلة بالراقصين والراقصات حتى اذا اقتربا من باب الشرفة المفضي الى الحديقة اجتذبها تمبلار الى ناحيته ومرقا منه قبل أن يفطن احد الى خروجهما .

وهبطا الى الحديقة فجلسا على أحد المقاعد ونظر تمبلار في وجهها وقال :

ـ والآن ؟ .

فابتسمت في بطء وقالت :

ـ والآن ؟ .

ـ كنت أتوقع لك الموت .. او العار .. فأيهما حل بك ؟ .

ـ سيحل بي كلاهما فيما أعتقد .

فلمس وجنتها فى رفق وقال :

— حسبى انك لا زلت على قيد الحياة .

فهزت رأسها وقالت :

— ان فى كل دقيقة تمضيها هنا خطرا علينا فدع الهزل وحدثنى بما وقع بالامس .

فقص عليها ما كان من اختطافهم مندرسن وكيف رجع هو ثانية الى اليخت فانقذه من الغرفة السرية وقال :

— ولست ادرى اذا كانوا قد عرفوا انه هو الرجل الذى زارك فى الفندق أم لا !

— وماذا كان من شأنك انت ؟

— زار فوجيل يختى بعد فرار مندرسن بقليل وامر على الفرج عليه ، ولكن خادمى هوراس خبأ مندرسن فى الشراع فلم يكتشف فوجيل وجوده على الرغم من انه فتش كل ركن فى اليخت تفتيشا دقيقا بحجة الفرجة .

ثم روى لها كيف هرب مندرسن من الشراع وكيف انه (اى تمبلار) ذهب الى زيارتها فى الفندق فى الصباح ليحذرها من الذهاب الى اليخت وكيف التقى بمندرسن وكيف تخلص منه .

وقالت الفتاة فى لهجة بطيئة :

— لقد زارنى مندرسن فى هذا الصباح .

فنظر تمبلار فى عينيها وفهم ما يتألق فيهما من معنى فقال :

— وحاول ان يقنعك بأنى لص محتال وانى اخدعك لا لكى اسلم اليك فوجيل وانما لاحل مكانه .

فحملقت فى وجهه وقالت :

— كيف عرفت هذا ؟ اكنت تسترق السمع !

— كلا .. ولكنى بارع فى قراءة الافكار .. ولا اكتم عنك انى لص وانه كان فى نيتى ان اختطف مندرسن حتى

انخلص من حماقته التى توشك ان تفسد خططى وتكاد تلقى بى وبك الى التهلكة .. ولكن خبرينى .. أصدقت مزاعم مندرسن عنى ؟

فاحنت رأسها فى بطء وقالت فى صوت خافت :

— نعم .

— ومع ذلك حضرت الى وسمعت اقوالى !

فاغمضت عينيها وقالت :

— هذا لانى احبك !

فاجتذبها تمبلار الى صدره وهمس فى اذنها يقول :

— وانا ايضا احبك !

— ايها الكذاب العزيز !

ثم هزت كتفيها فى غير اكتراث وقالت .

— ولكنى لا ابالى .. غدا ستسىء الى تمبلار .. وغدا اندم ويتركنى الاسف .. ولكنى مع ذلك لن ابالى .. انى سعيدة فحسبى حاضرى .. حسبى الليلة ! اما الغد ..

وهزت كتفيها فقال تمبلار فى صوت متهدج :

— وهل من غد هناك !

ونهضت لوريت واقفة وقالت :

— فلنرجع الى القاعة .

ومشيا صامتين فى خطوات بطيئة متمهلة . وكان القمر يتوسط السماء والنجوم زاهية متألقة .

ولما بلغا اسفل الدرج همس تمبلار قائلا :

— دعينى اقبلك ! .

فنحت وجهها عنه وقالت :

— هاك يدى فقبلها .

فرفع يدها الى شفتيه وطبع على اناملها قبلة بطيئة عميقة كأنه عابد يقبل صنمه المقدس ! .

الفصل العشرون

حين رجع تمبلار الى المائدة نفض عن نفسه ما ظل عالقا بها من آثار تلك اللحظات الجنونية التى أمضاها فى الحديقة فى رفقة لوريت، فارتد كما كان ذلك المغامر الجرىء الذى لا يحفل بالدنيا ولا يأبه لها ·· ذلك الرجل الذى وثب فى ظلمة الليل اثر دوى رصاصة سمعها ليستقبل ما قد ينكشف عنه الليل من مخاطر واهوال .. ذلك المجازف الذى يلعب الآن لعبة لا يمكن أن تنضى الا الى الموت ·

وأدار القسيس بصره فى ارجاء المكان وقال :

— لو انى كنت مكان الاستاذ بول لطويت أوراقى وكتبى وحضرت لامضى السهرة فى هذا المكان البديع ·

فقال فوجيل مجيبا :

— ان للعلماء ولعا عجيبا باعمالهم · والدراسة العلمية فى نظرهم ترجح على اعظم المتعات ·· بل انها عندهم هى المتعة الكبرى .. على انى مع هذا اشاطره قلقه وانزعاجه ·· فلو ان هذه التجربة اخفقت لكان اتعس الناس · غير انى استبعد هذا الاخفاق ·· انك سترافقنا فى الغد · اليس كذلك ؟ · اننا سنرحل فى ساعة مبكرة · فهل لك ان توافينا الى اليخت فى الساعة التاسعة ؟ ·

واخذوا يتباحثون فى شأن الرحلة فترة من الوقت ، ثم نهضوا للانصراف ·

وأخذ تمبلار يتابع الفتاة ببصره وهو حالم ذاهل ·· خيل اليه ان الدنيا ليست هى الدنيا وان الناس قد استحالوا جمادات لا حس لها ولا شعور ·· خيل اليه انه هو الانسان الوحيد فى هذا العالم ·· الانسان الذى له

قلب ينبض ·· ويشعر ·· ويحب ·· انه يحب لوريت فهل فى الدنيا شعور اشد طغيانا من هذا واعمق اثرا .. ؟ واولئك الذين لا يحبون لوريت او الذين لم يروها ولم يعرفوها .. او الذين راوها وماحفلوا بها. أتراهم من البشر ؟ . أتراهم يستحقون الحياة ؟ . انهم اشبه بالحيوانات السائمة التى لا تعرف عن الدنيا الا انها مرعى للطعام والشراب ! ·

لقد خرجت اليه لوريت من البحر كأنها حورية تستلب اللب وتدير الرأس .. خرجت اليه من الضباب لتجعله يكفر عما جنى ويتوب عما اجرم · لقد احتواها بين ذراعيه وقبلها فكانت قبلتها اكبر نعمة شعر بها فى حياته ·

وظلت هذه الخواطر وامثالها تدور فى رأس تمبلار حتى بلغ يخته ·

ولكنه انتبه منها فجأة على صوت عجيب ·· صوت يشبه شخير النائم ·· يشبه التنفس المرتفع · بل يشبه فحيح الافاعى ·

ووقف تمبلار على رأس السلم المفضى الى بهو اليخت يرهف السمع ليتبين مصـــدر الصوت .. وادرك ان هناك خطرا يربض فى الظلام .. خطرا يتوثب ويتحفز للانقضاض ·

وعاد بهدوء فى خفة وسرعة فتناول وتدا من الحديد وهبط السلم متسلحا به وهو لا يزال مصيخا سمعه ·

واتجه الى مصدر الفحيح الذى سمعه .. وكان يمشى متسللا على اطراف اصابعه ·· وعرف ان الفحيح آت من قاعة الاستقبال ·· وكانت القاعة مضاءة والنور ينبعث من تحت عقب الباب ·

ووضع تسيلار يده اليسرى على مقبض الباب .. وأداره .

ورفع يده اليمنى التي يمسك فيها الوتد .. ثم دفع الباب دفعة واحدة ووثب الى الداخل متحفزا الى المعركة .

ولكنه جمد في مكانه لا يتحرك !

كان يتوقع ان يجد في القاعة حيـــة هائلة من نوع الكوبرا ارسلها اليه فوجول لتكون في استقباله ولكنه لم يجد شيئا من هذا القبيل .

وانما وجد خادمه هوراس طريحا على الاريكة ! .

لم يكن هوراس نائما يشخر ولكنه كان مفتوح العينين والدماء تنبثق من صدره .

واسرع اليه القديس وقال في انزعاج :

ـ ماذا جرى ؟

فتمتم الخادم الامين في صوت لا يكاد يسمع :

ـ لا شيء .

وارسل بصره الى ناحية الباب الداخلي للقاعة وهز راسه ففهم تسيلار انه يحذره من عدو كامن وراء هذا الباب الموصد .

وقال القديس في صوت مرتفع :

ـ هذا لص ؟ .. هرب .. فليكن .. يجب ان اهتم اولا بجرحك .. نعم ارفع القميص .. كلا . ان الجرح ليس عميقا .. هل تؤلمك يدي !

وكان وهو ينطق بهذه الكلمات يبتعد متســـللا عن هوراس ويتجه الى الباب حتى اذا سمعه الطارق الليلي ظن انه منهمك في معالجة خادمه .

واقترب القديس من الباب وفتحه في حركة سريعا فالفى القاعة المجاورة مظلمة .. ولكن قبل ان يتقدم خطوة واحدة انبعث من ظلام القاعة صوت يقول :

ـ اياك ان تتحرك والا الهبت رأسك بالرصاص !

وجمد تسيلار في مكانه اذ كان يعلم ان عدوه المستتر بالظلام اقوى منه في مثل هذا الموقف .

وقال صاحب الصوت المجهول ـ

ـ ارجع الى الخلف .

وتراجع تسيلار بضع خطوات ليمكن العدو الخفي من ان يتقدم ليدخل القاعة .

وتأمل تسيلار وجهه الدميم والمسدس الذي في يده وقال باسما :

ـ ان الصراصير تعيش في الظلام . فهل انت صرصور ضل الطريق ؟

وصاح الرجل وهو يلوح بمسدسه :

ـ ادر ظهرك الى ناحيتي .

ـ ماذا ؟ الم يعجبك وجهي ؟

ـ قلت لك ادر ظهرك !

فاطاعه تسيلار وهو يهز كتفيه في غير مبالاة قائلا :

ـ ان الذي في يدك يا بني مسدس يقتل .. فاياك ان تلعب بضغط الزناد والا اصابتني الرصاصة ومت قتيلا .. الم تر يوما رجلا يشنق ؟ ان الشنق يقلب السحنة وان كانت سحنتك مقلوبة بطبيعتها .

فصاح الرجل في صوت متوعد قائلا :

ـ سامسك هذا المزاح عاجلا .. ضع على الارض هذا الوتد الحديدي وتقدم الى الامام خطوتين .

ـ ولكني لا استطيع ان استغني عن مظلتي .

ـ قلت لك ضع الوتد وتقدم خطوتين .

فانحنى تمبلار واختار فى عناية تامة المكان الذى يصلح لوضع الوتد ثم تقدم الى الامام خطوتين .

وساد سكون قصير قطعه رنين جسم حديدي فعرف تمبلار ان اللحظة الحاسمة قد حلت .. كان هذا الرنين هو الشيء الذى ينتظره ويتلهف اليه .

كان طبيعيا ان يطلب الطارق الليلى من تمبلار ان يضع الوتد الحديدى على الارض .. ولكن الذى بدا شاذا غير مفهوم هو أن يطلب من تمبلار في الوقت نفسه ان يوليه ظهره وان يتقدم الى الامام خطوتين .. فما الداعى الى هذا الطلب الغريب ؟

لقد فهم تمبلار من ذلك ان الطارق انما امره بوضع الوتد وادارة ظهره والتقدم خطوتين حتى يتمكن هو نفسه من ان يلتقط الوتد دون ان يراه تمبلار ثم يضربه به على راسه لان دوى الرصاص ليس بالشيء المامون .

ولهذا حرص تمبلار وهو يضع الوتد على الارض ان يسند طرفه على حافة المنفضة المعدنية الموضوعة فى ركن القاعة . فاذا ما هم الرجل بان يتناول الوتد كان لابد ان تهتز المنفضة فيصدر عنها ذلك الرنين الذى سمعه تمبلار .. وكان تمبلار يعرف بالضبط المسافة التى بينه وبين المنفضة .. اى التى بينه وبين الرجل عندما ينحنى لالتقـاط الوتـد .

ولهذا لم يكد يسمع تلك الرنين الخفيف حتى تحركت ساقه اليمنى الى الوراء فى قوة وعنف فاصاب حذاؤه وجه الرجل وهو منحن فوق الوتد ليلتقطه .

وفى اللحظة التالية استدار القديس على عقبيه ليرى الرجل وهو يتدحرج على ظهره وقد وضع يده على وجهه والدماء تنبثق من بين اصابعه .

وانقض القديس على الرجل فاشتبكا فى نضال عنيف ! وكان منتظرا ان يطول هذا النضال ويمتد . لولا ان هوراس تحامل على نفسه ونزل عن الاريكة فتناول الوتد ورفعه فى يده وانتظر اللحظة المناسبة لكى يهوى به على راس الرجل .

وترنح الرجل وسقط على الارض فتلقاه تمبلار بين ذراعيه وارقده على الارض فى رفق وهو يقول :

ـ لقد كان ولدا طيبا !

ثم اخذ يضمد جرح خادمه هوراس قائلا :

ـ قص على ما حدث .

فانباه ان الرجل جاء الى اليخت فى قارب صغير ورفع صوته مناديا فلما خف اليه ساله عن سيده سيمون تمبلر فاجابه بانه ذهب الى الشاطىء فقال الرجل : « اسمح لى بان انتظره لابلغه رسالة هامة » وقبل ان يتمكن هوراس من الاجابة بالرفض او القبول كان الرجل قد صعد الى اليخت . وقبل ان ينتبه هوراس الى ما حدث كان الرجل قد ضربه على راسه بقبضة مسدسه فاغمى عليه فحمله وهبط به الى قاعة الاستقبال وارقده على الاريكة .

وقال القديس يساله :

ـ وهذا الجرح الذى فى كتفك ؟ .

ـ عندما استفقت من اغمائى وجدت الرجل فى القاعة وهو يفتش الدواليب والادراج فنهضت واقفا فى حذر وتناولت مقعدا قذفته به بكل قوتى ولكنه استدار فى اللحظة المناسبة ليرانى .. وكان مسدسه فى يده فعاجلنى برصاصة اصابت كتفى .

وقال تمبلار فى نفسه وهو منهمك فى تضميد جرح خادمه :

وتعاون تمبلار مع خادمه على تنبيه الرجل من غيبوبته فأخذا ينضحان وجهه بالماء البارد وينشقانه النشادر وهو جامد في مكانه لا يتحرك .

وقطب تمبلار جبينه وتفرس في وجه الرجل ثم رفع رأسه قليلا ونظر الى جمجمته .. الى الموضع الذي هوى عليه هوراس بالهراوة الحديدية .

وهنا أدرك تمبلار ان الضربة كانت شبه قاتلة وأن الرجل قد لا يفيق من غيبوبته مطلقا .

فتنهد أسفا على تلك المعلومات التي كان يرجو ان ينتزعها منه .. –

الفصل الحادي والعشرون

لم يوجه تمبلار الى خادمه هوراس كلمة لوم واحدة اذ كان يعلم انه في موقف دفاع عن النفس . واذا كانت الضربة قد جاءت أشد مما ينبغي فعذره انه نال منه لحظات – ومن يد هذا الرجل نفسه – رصاصة استقرت في كتفه .. ولو انها تزحزحت قليلا لاصابت قلبه وقضت عليه .

وعندما استيقظ في الصباح كان اشد ايمانا بان ما حدث هو الشيء الوحيد الذي كان يمكن ان يحدث في مثل هذا الموقف .

على ان الشيء الذي كان يشغل ذهنه بنوع خاص انما هي النتائج التي ستترتب على هـذه الحوادث .. ان فرجيل ينتظر بفروغ صبر عودة رسوله ليبنئه بما اسفر عنه تفتيش الرخت . فاذا ما تخلف عن الحضور فلتخلفه تفسيران : الاول هو انه غير يزعيه .. وهو تفسير غير

– اذن فهذه الرصاصة لم تطلق على هوراس عمدا .. وانما في حالة الدفاع عن النفس .. اعنى ان اللص وجد نفسه في مأزق حرج فاضطر ان يستعمل مسدسه . ولقد كان في وسعه ان يقتلني وانا اهبط السلم حين كان متواريا في الظلام . بل لقد كان في وسعه ان يقتلني الان بفوهة مسدسه مركب عليها جهاز كاتم الاصوات . فلماذا لم يقتلني ..؟ ولماذا كانت كل مهمته ان يفتش الرخت .. ؟ الجواب على هذا هو ان كيرت فرجيل لايزال يجهل حقيقة امري ولازال ينشد على معلومات قاطعة اما ان يكون هذا الطارق الليلي لصا عاديا من لصوص المواخير فمستحيل اذ انه عند حضوره سأل عن مستر شيرز . وليس ثمة من يعرف اني انتحل هذا الاسم الا فرجيل واصحابه . ومهما يكن من الامر فهذا معناه ان الشبهة نحوي لاتزال حتى الان معلقة لا تستند الى دليل

والتفت التيس الى خادمه قائلا :

– هل أحضر أحد الحمالين حقيبتين لاجلي ؟

– نعم .. وهما في البهو

فذهب تمبلار الى البهو فوجد حبال احدى الحقيبتين ممزقة وقفلها مهشما وغطاءها مرفوعا .. اما الحقيبة الثانية فكانت مهشمة القفل ممزقة الحبال ولكن غطاءها كان لايزال في موضعه فادرك ان الزائر الليلي لم يكن قد اكمل تفتيشه حين فوجيء بقدوم تمبلار .

اذن فقد رأى الزائر الليلي بذلة الغوص الموضوعة في الحقيبة .. فاذا ذهب الى فرجيل بهذه المعلومات فهي تلك البلاء الاكبر ، اذ هو الدليل على ان تمبلار يهتم بالسفن الغارقة .. فيجب الاحتفاظ بهذا الرجل مهما كان الامر .

مقبول وغير معقول .. والتفسير الثاني هو ان حادثا وقع له .. وهو التفسير الذى سيأخذ به فوجيل .

وفي هذه الحالة ما عسى ان يكون موقف فوجيل ؟ انه لن يدفع البوليس ضد تمبلار والا انكشف سره ووجد من يسأله عن الكيفية التى عرف بها ان لصا سيسطو على اليخت · فضلا عن أنه يكره أن يدفعه اليه انظار البوليس · كما أنه لا يزال يجهل حقيقة شخصية تمبلار (أى مسيو تومز) وقد يخطر له أن تومز نفسه من رجال البوليس ·

وجعل تمبلار يكدح ذهنه ويحاول ان يضع نفسه في موضع فوجيل ليتصور ما كان ينبغى ان يفعله في مثل هذا الموقف :

ـ نعم ·· ماذا كنت أفعل لألقى عليه نظرة ·· ولكن فوجيل لا يمكن أن يفعل هذا وقد اتبع نفس الطريقة في الليلة السابقة . فليس معقولا ان يتفرج على اليخت مرتين في أربع وعشرين ساعة · فان الاعذار لن تسعفه مهما كان حظه من الذكاء ·· وفضلا عن هذا فهو يعرف أنه لن يجد رسوله في اليخت · فاذا كنت من رجال البوليس ·· او اذا كنت رجلا حسن النية ولا شأن لى بالمسائل التى يهتم بها فوجيل فالتصرف الوحيد المعقول هو أن ارسل اللص الى مركز البوليس · ولن يستطيع فوجيل أن يفعل في هذا الصدد شيئا الا في الصباح حين تنشر الصحف انباء الحادث فيبادر الى دفع الكفالة المطلوبة للافراج عن رسوله ··

ولكن اذا فرض من الناحية الاخرى انى لست شرطيا ولست شخصا حسن النية بل انى على العكس من ذلك لص من لصوص البحار انافس فوجيل في مهنته ·

فالتصرف الوحيد عندما اقتنص احد رجالك الخصوصى هو أن احبس الاسير في يختى فاذا ما خف فوجيل لانقاذه وجدنى في انتظاره وقد نصبت له فخا لاقتنصه بدوره ·· ولما كانت هذه الزيارة لم تقع في خلال الليل فمعنى ذلك ان فوجيل لايزال يجهل حتى الساعة حقيقة شخصية تمبلار ·

ولما عرف هوراس ان سيده سيذهب الى اليخت فلاكبيرج أخذ ينصحه بالعدول خوفا على حياته فقال له هذا ضاحكا :

ـ وكيف تريد منى ان اتخلف عن الذهاب والفتاة هناك ؟

ـ ومعنى ذلك انك تريد أن تقتل معها .

ـ بل معناه انى سأنقذها .. وفضلا عن هذا فانى لا احب أن تفلت منى اللحظات السعيدة ·· أن فوجيل يعتقد بلا شك انى سأتخلف عن زيارته بعد أن وقع على يختى ذلك الهجوم الليلي ·· فاذا رآنى اصعد الآن الى يخته مشرق الوجه باسم الثغر ادهشه قدومى واذهله ولست ممن يرضون بأن يدعوا منظرا طريفا كهذا يفلت منهم ؛ منظر رجل جامد السحنة كأنه تمثال من الحجر وقد انقلب دفعة واحدة خائرا مرتبكا ·

وصح ما ذهب اليه تمبلار فعندما رآه فوجيل سقط عن وجهه ذلك القناع الحجرى والتمعت عيناه واختلجت اساريره .. ولكنه ما لبث فى طرفة عين ان استرد هدوءه وسكونه ·

وقال فوجيل يحييه :

ـ طاب صباحك يا مسيو تومز ·

فابتسم تمبلار وقال مبتهجا :

ـ لا يطيب الصباح الا لليلة رائعة كليلة الامس ·

ـ اذن فقد استمتعت بتلك السهرة التى امضيناها معا ؟

ـ وبحكاية ساعة الندم ايضا !

فرفع فوجيل حاجبيه مستفسرا فابتسم تيبلار وقال فى لهجة الرجل الذى لم يشهد فى حياته الا ماندر من المغامرات :

ـ لابد ان السطو على السفن مهنة لذيذة .. فقد تسلل الى يختى لص فى الليلة الماضية .

فهتف فوجيل قائلا :

ـ حقا يا عزيزى مستر تومز ؟ وهل سلبت شيئا ثمينا ؟

ـ لا شىء على الاطلاق فقد قبضنا عليه .

فقال شلنتبرج فى اعجاب :

ـ اذن فقد كنت أسعد منا حظا .. الم يحاول المقاومة ؟

ـ ان الوقت لم يتسع له .

واقبلت لوريت باج فى هذه اللحظة فلم يكمل تيبلار جملته اذ انهمك فى تحيتها . واخذ فوجيل بذراعها وهو يقول :

ـ كان مستر تومز يقص علينا يا عزيزتى نبأ حادث وقع بالامس بعد أن افترقنا .. لقد سطا على يخته لص من لصوص البواخر . ولكنه قبض عليه .

فابتسمت الفتاة وقالت :

ـ انها مغامرة لذيذة .. ! ولكن كيف تسنى لك ان تقتنصه .. ؟

ـ لقد جاء الى خادمى هوراس اثناء غيبتى وزعم ان لديه رسالة يريد ان يسلمها الى يدا بيد ، ثم اغتنم غفلة

من هوراس فضربه على رأسه بمقبض مسدسه وأفقده الوعى .. ولكن هوراس ما لبث ان استفاق قبل ان يهرب اللص بما سرق فاشتبكا فى عراك عنيف واتفق ان جئت انا فى هذه اللحظة فانضممت الى هوراس .. ولكن الشيطان أطلق علينا النار غير ان الحظ خانه اذ طاشت الرصاصة .

ـ وبعد ذلك ؟

ونطق فوجيل بهذا السؤال فى صوت هادىء لا ينم عن شىء من الانفعال كمن لا يعنيه الامر الا من حيث انه حكاية مسلية تفيد فى تمضية الوقت . ولقد اشعل سيجارة فى هذه اللحظة فلاحظ تيبلار ان يده ثابتة لا ترتعد .

ـ لقد اشتبكنا فى النضال كما قلت ونحن نحاول ان ننتزع المسدس من يده . واختطف هوراس وقتا كان قد جاء به لأبطليه فضرب به اللص على رأسه ضربة افقدته الرشد . فقيدناه ونقلناه الى شاطىء وذهبنا به الى مخفر البوليس . وعندما ارادوا ان يسلموا له الاسعافات الاولية فطنوا الى أن الضربة كانت شبه قاتلة وان المسكين فى حالة قريبة من الموت ولا يرجى له شفاء ..

وساد الحاضرين صمت طويل .

ولقد ساق اليهم تيبلار القصة بهذا الشكل الذى يقرب كثيرا مما حدث اتقاء للنتائج التى قد تترتب اذا ما عمد الى اكذوبة كبيرة .. فلو انه قال مثلا ان الاصابة كانت بسيطة لتوقع فوجيل أن يجد فى صحف الصباح انباء الحادث . اما اذا كانت الاصابة قاتلة فالمفروض ان تكتم عن الجمهور ريثما يقوم الاطباء بفحص المصاب وهذا

يضمن على الاقل ارجاء اذاعة الحادث الى صباح اليوم التالي ·

وبعد لحظات تمتم شلنبرج يقول :

ـ اذن فقد مات اللص ؟

فاحنى تمبلار راسه قائلا ،

ـ او هذا هو المنتظر على الاقل ·فقد هشم هوراس جمجمته بتلك الضربة العنيفة .

فقالت لوريت :

ـ وهل سيقبض البوليس على هوراس ؟

ـ كلا فالحادث يعتبر في مثل هذه الظروف دفاعا عن النفس اي انه وقع قضاء وقدرا ·· وان كنت لا اكتم عنكم ان موت هذا الرجل وان كان لها اثر في نفسي تاثيرا شديدا .

وكان فوجيل ينظر الى تمبلار ويتفرس فيه وقد تصلبت عضلات وجهه والتمعت عيناه ونمت سحنته لاول مرة منذ بدأ الحديث ـ عن القسوة والبرود ·

وقال فوجيل مؤمنا :

ـ ولكنه جنى ما يستحق ·· فليس مطلوبا منا ان نتريث في عطف ومودة على اللصوص الذين يهاجموننا ، فلا تدع الامر ينال منك ويزعجك .

وكان الاستاذ بول مقبلا فسمع الجملة الاخيرة فقال :

ـ ما الذي يزعجه ··

فعاد تمبلار يقص من جديد حكاية اللص وفي اثناء ذلك جاء احد البحارة يحمل برقية ناولها الى فوجيل ففضها هذا على مهل وتلاها

وفي اثناء قراءته لها لاح عليه انه استرد سيطرته على اعصابه وتحكمه في عواطفه فان الصراع الذهني الذي كان يفترسه هدأ واستقر ·

ونهض فوجيل واقفا وهو يقول :

ـ لقد كنا على وشك الاقلاع ·· فهل تسمحون لي بالانسحاب حتى اشرف على الامر بنفسي ·· ؟

ثم مشى في خطوات بطيئة وئيدة ·· واحس القديس ان اللحظة الحاسمة قد دنت ·· وان المعركة الدامية توشك ان تنشب .. !

الفصل الثاني والعشرون

اشعل تمبلار سيجارة واستند بمرفقه على سياج اليخت وارسل بصره الى البحر الذي كان يتقلب في فيض من اشعة الشمس ·

وكانت عيناه تلتمعان ايضا كانها شعاع من هذه الاشعة ·

لقد كان دائما مجنونا ·· ويظهر انه لايزال كذلك ·

حقيقة ان روجر وبيتر وهوراس موجودون في سانت بيتر ·· وحقيقة انهم يعلمون مكان وجوده ·· ولكن اتراهم يستطيعون ان يخفوا الى نجدته اذا ما حاقت به الاخطار ·· ؟ كلا ·· اذ لا سبيل لهم الى الوصول اليه ·

وها هي ذا لوريت الى جانبه يضربان في الماء على ظهر اليخت بارمبرج وخلفهما فوجيل وشلنبرج يدبران الخطط لاغتيالهما والتخلص منهما ·· ويعاونهما في ذلك نفر من البحارة لا يقلون عن العشرة

وفي هذا اليخت البعيد عن الرقابة في غمار البحر الهائل · يمكن ان يحدث اي شيء دون ان يتنبه مخلوق الى ماحدث .. قد تنطلق رصاصة فلا يسمع شاهد دوى

الطلق ولا صرخة الاستنجاد .. ولا يرى جثة القتيل او رماده التي نزفت .. وقد يقع حادث بالقضاء والقدر يدون في سجلات اليخت ، بشهد نوتيته على صحته دون ان يكون هناك مجال للتأكد او التحقق .. وقد تضرب اليخت موجة هائلة فتجرف تمبلار معها الى القاع دون ان يتمكن احد من انقاذه . وقد تشتبك قدم نوريت في احد الحبال وهي تمشي على الحافة فيختل توازنها وتقع الى الماء فتبتلعها الامواج قبل ان ينتهي استنجادها الى اذن من الاذان .

نعم .. قد يقع شيء من هذا عمدا فيقال انه جاء عفوا . والبحر يكتم اسراره لانه جبار لا يخشى اهل الارض .

واخيرا بدا اليخت يهدىء من سيره وخفتت اصوات المحركات فالتفت تمبلار الى الاستاذ بول الذي كان جالسا وحده على مقربة منه وقال له :

ــ اهذه هي البقعة التي سنقوم فيها بتجربة الغوص؟

واحنى الاستاذ راسه وقال :

ــ اظن ذلك . لقد درسنا الخريطة معا بالامس فوجدنا ان اعمق مكان يبلغ نحو ٥٦٤ قدما وهو وان كان عمقا متوسطا الا انه يكفي لاجراء التجربة المبدئية .

وتذكر تمبلار عند هذا انه ونوريت هما الشخصين الوحيدين اللذين يتهددهما الخطر فان هناك شخصا ثالثا يرفرف الموت فوق راسه كما يرفرف فوق راسيهما .

وهذا الشخص هو الاستاذ بول .

والتفت التلميذ اليه قائلا :

ــ اتعرف فرجيل منذ زمن طويل .

ــ منذ ستة شهور اذ جاءني عقب تجربتي الاولى وعرض علي ان يؤازرني ماليا فقبلت اقتراحه فرحا اذ كنت في اشد الحاجة الى المال لمتابعة ابحاثي . وكان كل ما في وسعي ان افعله مقابل هذا السخاء وردا على جميلة ، هو ان اسمي باسمه سمكة جديدة اكتشفتها من الصدف الذي لا يعيش الا في الاعماق البعيدة اذ سميتها ، نوجيلان ، وهكذا ترى ياعزيزي اني قدمت اليه كلمة مكونة من سبعة حروف مقابل الوف الجنيهات التي قدمها الي .

وضحك الاستاذ ضحكة رنانة مرحة فقال له تمبلار .

ــ الم تفكر بعد في المنافع التجارية التي تترتب على استغلال اختراعك ؟

ــ كلا يا عزيزي .. فاني اخشى ان يكون اختراعي ذا صبغة علمية محضة .

ثم اتسعت حدقتاه ونظر الى تمبلار قائلا :

ــ ولكن خبرني .. اهناك اوجه تجارية لاستغلال اختراعي ؟

فتردد تمبلار في ان يلقي اليه بالجواب الصحيح .. فقال :

ــ كنت اظن ان ..

وسمع اذ ذاك وقع خطوات تدنو منهما فادار راسه ورأى فرجيل ونوريت مقبلين عليهما فادرك ان الفرصة قد ضاعت وان لا سبيل الى مكاشفة المخترع بما في نفسه فقال :

ــ يمكن مثلا التقاط مناظر سينمية عن الحياة في اعماق البحار بواسطة غرفة الغوص التي اخترعتها . ومثل هذه الافلام تكون بلا شك محلا للاقبال .

فقال بول :

ـ الواقع انى لا ادرى .. ما رأيك أنت يا مسيو فوجيل ؟

فأرسل فوجيل نظرة حادة الى تمبلار كأنها نصل سيف ماض ثم قال :

ـ هذه مسألة لابد من الرجوع فيها الى رأى خبير فنى .. أتحب يا استاذ أن تفحص الجهاز قبل الغداء ؟

ومضى الاستاذ بول وفى رفقته فوجيل على حين تخلف عنهما تمبلار واوريت قليلا .. وكانت هذه أول فرصة استطاع أن يخلو فيها اليها اذ كانت لا تكاد تمشى خطوات حتى يتحقق بها فوجيل أو شلمبرج . وحتى فى هذه اللحظة كان شلمبرج جالسا على احد المقاعد البحرية الطويلة .. ولكن يظهر انه كان مستغرقا فى النوم اذ كانت قبعته على عينيه وفمه مفتوحا وهو يتنفس فى هدوء وانتظام .

وقال القديس يخاطب الفتاة :

ـ لعلك سمعت رأيى فى هذه المسألة .

وكان يسير الى جوارها فضغط ذراعها فى رفق فقالت فى صوت لا يكاد يسمع ودون أن تحرك شفتيها :

ـ أليس ثمة خطر .. ؟

ـ الخطر كامن فى كل لحظة من لحظات هذه الرحلة الاتجارية . وقد تتضاعف الشبهات اذا انا لم أحاول أن أتحدث اليك ..

وأومأ باصبعه الى الفنار الذى يتراءى قائما على صخرة على مرمى البصر وقال كمن يقصد بحديثه الفنار ومن فيه :

ـ هناك رجل يحدق به الخطر مثلنا .. ولكنه لا يدرى من الامر شيئا .

ـ الاستاذ بول ؟ ..

ـ نعم .. فهل فكرت فى أمره ؟

ـ كثيرا .

ـ الشىء الذى يحيرنى هو الطريقة التى ندخل بها .. ؟ وعلى الاقل الطريقة التى سنخرجه بها .

ـ وأنا أيضا أتمنى أن اكشف هذا السر .

فقال القديس :

ـ المعروف أن صاحبنا لا يهتم بالابحاث العلمية . وما دعاه الى الاهتمام بالاستاذ بول الا رغبته فى الانتفاع بغرفة الغوص .. فاذا ما نجحت التجربة فقد عاد بول فى نظره لا يساوى شيئا فيتخلص منه ويضع يده على الغرفة . ولكن كيف يتخلص منه .. ومتى .. ؟

وتحول من ناحية الفنار واخذا يتابعان السير كأنما انتهى حديثهما عنه . . وكان فوجيل يراقبهما على البعد وهو واقف مع الاستاذ يفحصان الجهاز . وضحك تمبلار ضحكة عادية وقال فى نفس الصوت المجرد عن الاهتمام أو الانفعال :

ـ انى منزعج بشأنه .. فهو جدير بأن يحب .. واذا أصابه سوء أنحيت على نفسى باللوم . فاذا سنحت لك فرصة فحدثيه فى الامر .

فابتسمت وقالت :

ـ سأحاول .

ولما صارا فى مرمى السمع من أذن فوجيل قالت متظاهرة باتمام حديث كانا منهمكين فيه :

ـ ولكن زوجة عامل الفنار تتعب كثيرا بلا شك .

ـ طبعا ٠٠ لاسيما اذا كانت جميلة ٠٠ !

ووقف تمبلار يتفرج على الجهاز الذى اخترعه الاستاذ بول ٠ ولم يكن فى الواقع عبارة عن غرفة بالمعنى المفهوم وانما كان بذلة من الفولاذ ولكن جرت العادة بان يوصف بأنه غرفة تمييزا له عن بذلات الغوص العادية والتى لا يمكن استعمالها الا فى الاعماق القريبة ٠٠ وكان للبذلة وجه يشبه وجوه الدروع الحربية ولكن يختلف عنها فى أن له فى مكان العينين قطعتين من الزجاج غير القابل للكسر ٠ ويتصل بالبذلة مواسير كهربائية يمكن بواسطتها ايصال الهواء النقى الى الرجل الذى يكون فى داخل البذلة وطرد الهواء الفاسد ٠٠ كما كانت هناك انابيب اخرى لقياس ضغط الماء ودرجة الحرارة ومعرفة بعض المعلومات العلمية الهامة ٠

وقال تمبلار فى اهتمام واعجاب :

ـ أهذه بذلة الغوص الجديدة ٠٠ ؟ ولكنها فيما أرى لا تساعد من فيها على السير بها فى قاع البحر ٠٠ ؟

ـ قد يكون هذا صحيحا الى حد ما ٠٠ ولكنها تتيح الحركة الى الحد الذى يكفى ٠٠ لقد اخترع الدكتور بيب جهازا من هذا النوع أمكنه بواسطته أن يهبط الى عمق ثلاثة الاف قدم ٠٠ ولكن عيبه انه كان ضخما ثقيل الوزن الى درجة يستحيل معها على عشرين رجلا ان يحركوه من مكانه خطوة واحدة أما جهازى فعلى العكس من ذلك خفيف اذ انى استعضت عن سمك الفولاذ بالوسائل العلمية التى تكفل مقاومة الضغط فمكننى بذلك أن استغنى عن ثلاثة ارباع الفولاذ الذى كانت فائدته الوحيدة مقاومة الضغط فمن الممكن الان ان يمشى الانسان بالجهاز ٠

قال تمبلار متجاهلا :

ـ الواقع انه ليست لدى اية فكرة عن قوة الضغط فى قاع البحر ٠

ـ ان الضغط على عمق ثلاثة آلاف قدم يزيد على نصف طن على البوصة الواحدة المربعة ٠٠ فاذا هبط انسان الى هذا العمق وهو فى بذلة غوص عادية سحقته المياه وجعلت جسمه وعظامه اشبه بقطعة من العجين ٠ أما الجهاز الذى اخترعته فلا يؤثر فيه الضغط مطلقا ٠ وفى وسعك ان تقوم بنفسك بهذه التجربة اذا شئت ٠

فضحك القديس وقال :

ـ كلا ٠ وشكرا ٠٠ فانى لا احب أن أعجن ٠

واخذ تمبلار يراقب الاستعداد للتجربة ، فقد كان هناك خطاف كهربائى امسك بالبذلة فرفعها فى الهواء وادلاها فى الماء وضغط احد البحارة زرا خاصا فانطلقت مخالب الخطاف الجهاز ٠ وأدار بحار آخر عجلة ملفوفا عليها حبل من الفولاذ مشدودة الى الجهاز فاخذت ترتخى وتمتد والجهاز يهبط الى قاع البحر تدريجيا ٠ وكان الاستاذ فى خلال ذلك يراقب اجهزة أخرى اشبه بالساعات ليتبين منها مقدار الضغط والعمق ثم رفع يده فجأة وقال :

ـ كفى ٠٠ !

وعند ذلك كف البحار الذى كان يدير العجلة عن ادلاء الجهاز ٠

واخذ الاستاذ يمسح جبينه بمنديله وقد اشرق وجهه ولاحت عليه امارات الابتهاج ٠

وتولى المهندس الذى كان حاضرا التجربة اخراج الجهاز من البحر ٠

والتفت الاستاذ الى الحاضرين وقال فى فخار :

ـ . . ٥٠ قدم . ! ولكنى مع ذلك لا استطيع ان اعتبر هذه التجربة نهائية . !

وما كاد الجهاز يستقر على سطح اليخت حتى أمر الاستاذ البحارة بأن يفتحوا بابه الفولاذى الضخم ، ثم اسرع الى داخله وفحص جهاز الرطوبة ثم خرج الى اصحابه وقال :

ـ ليس فى الجهاز اثر لقطرة واحدة من الماء .. فاذا استطعت الان ان امشى به خيرا مما كنت امشى بالجهاز القديم فقد نجحت التجربة .

فقال فوجيل فى اهتمام :

ـ ولكنك افهمتنى أن شكوكك فى هذا الشأن لا تستند الى أساس .

ـ طبعا .. طبعا .. فانى واثق من النجاح . ولكن لابد من تجربة عملية تحت الماء لاختبار متانة المفصلات التى تصل ساقى الجهاز بنزعه والتأكد من سهولة تحركها وان كنت اكرر عليك القول انى واثق من متانتها وادائها الغرض المنشود على الوجه الاكمل .

واخذ فوجيل بذراع الاستاذ وهو يقول :

ـ هيا بنا الان لنتغدى .

ولبث تمبلار طول الغداء ساهم الذهن شارد الفكر يتدبر الامر ويقلب الرأى على مختلف وجوهه ويسائل نفسه عن الخطة التى يجب ان يتبعها .. كان يسائل نفسه عن الطريقة التى سيقتل بها فوجيل الاستاذ بول .. ومتى ينوى أن يرتكب هذه الجريمة .. ثم ارتد يتساءل عما يستطيع هو نفسه أن يفعل فى هذا الشأن .. وهل

يتمنى له أن يجابه فوجيل بمفرده على حين ان خصمه مؤيد بعشرة من الرجال الاشداء الذين يتفانون فى خدمته .

وانتبه بغتة من خواطره على صوت فوجيل وهو يقول له :

ـ كنت أفكر فيما سوف يرى الاستاذ فى قاع البحر .. صدقنى ان الحياة هناك لابد أن تكون لذيذة طريفة .

فقال فوجيل فى صوته الاجوف الرنان :

ـ انى على استعداد لان أجعلك تختبرها بنفسك .. اذا شئت .

وابتسم .. كانت ابتسامة عادية طريفة .. ولكن تمبلار وحده هو الذى فهم مدى رهبتها وقسوتها .. ! كما فهم المعنى التهديدى الذى تنطوى عليه كلماته .

الفصل الثالث والعشرون

كانت على ظهر اليخت اسطوانتان مملوءتان بالاكسجين فحص الاستاذ بول بنفسه صماماتهما ليتأكد من صلاحيتهما للعمل . فلما استوثق من الامر صافح الحاضرين ودخل جهاز الغوص فناوله أحد البحارة الاسطوانتين لتثبتهما فى موضعهما داخل الجهاز . ثم أغلق البحارة عليه الباب .. وبذلك صار الاستاذ حبيسا فى تلك الغرفة الفولاذية الضيقة التى لا يرى العالم وهو فيها الا من خلال كوة زجاجية قريبة من وجهه .

وراه الحاضرون وهو يفحص الازرار والمفاتيح المختلفة الموجودة فى داخل الجهاز . ثم وضع على اذنيه

سماعتين من المعدن متصلتين ببوق قريب من فمه ، وسمع الحاضرون صوته يدوى ويرن قائلا :

ـ اتسمعوننى ٠ ؟

فأجابه فوجيل من خلال البوق القريب من فمه :

ـ تماما . . فهل تسمعنى أنت . ؟

ـ بكل سهولة · ولكن يجب ان أعمل فيما بعد على تخفيض قوة الصوت لانه يدوى ويرن داخل الجهاز كأنه طرقات المعاول ·

وكان صوت الاستاذ يصل الى الحاضرين عن طريق بوق المكبر المتصل بالجهاز بأسلاك خاصة يقول :

وضغط الاستاذ زرا أنير بعده الجهاز من الداخل ٠٠ وعلى الضوء راى الحاضرون على مقربة من يده اليمنى مفكرة مثبتة فى مشبك خاص والى جانبها قلما من الرصاص ليدون عليها ملاحظاته · وفى الناحية اليسرى راوا آلة فتوغرافية تتصل عدستها بكرة زجاجية صغيرة لتلتقط بها ما شاء أن تلتقط من الصور فى قاع البحر ·

وادخل الاستاذ ذراعيه فى ذراعى الجهاز واخذ يحركهما فى كل ناحية ليستوثق من سهولة الحركة ٠٠ كلما اخذ يفتح ويطبق الخطافات الفولاذية الشبيهة بالاصابع والمثبتة فى يدى الجهاز .

واخيرا ارتفع صوته قائلا :

ـ كل شىء على ما يرام ٠٠ انزلونى ٠٠ !

فقال فوجيل :

ـ أرجو لك حظا سعيدا ٠ !

وانطبقت مخالب الالة الرافعة على جهاز الغوص فرفعته فى الهواء وادلته الى الماء ٠٠ وفى نفس الوقت كان البحار الموكل بالحبال الفولاذية المشدود اليها الجهاز يدير العجلة الملفوف عليها الحبل ليرخيه تدريجيا ومهندس اليخت يرسل بصره من حين الى لاخر الى الالة الصغيرة المثبتة الى العجلة لقياس امتداد الحبل ·

وبعد ربع ساعة ارتفع صوت الاستاذ بول من خلال بوق المكبر المتصل بالجهاز بأسلاك خاصة يقول :

ـ كفى ! العمق عندى ٥٧٥ قدما ·

فنظر فوجيل الى آلة القياس المثبتة الى العجلة وقال :

ـ وعندنا ايضا ٥٧٥ ·

ـ هذا بديع . . انى واقف الآن على قاع البحر .كل شىء على ما يرام ٠٠ وجهاز التدفئة كان عظيم الاثر فانى لا أشعر الآن بشىء من البرد ·

وكان تمبلار واقفا يستمع الى هذا الحوار وهو ذاهل مشدوه ٠٠ لم يعد فى المأساة التى يمكن أن تتكشف عنها هذه التجربة ولا فى الاخطار المحدقة به او بصاحبته لوريت · وانما كان مأخوذا مفتونا بهذه التجربة الرائعة ٠٠ بهذا الصوت الآدمى الذى ينبعث من الاعماق السحيقة فيصعد الى ظهر الارض كأنه صوت حيوان هائل يعيش فى تلك المجاهل التى لا يعرف الناس شيئا عما يدور فيها ! ·

وتكلم فوجيل فقال :

ـ وهل فى وسعك أن تمشى ٠ ؟

ـ اظن ذلك ٠٠ فهذا الجهاز اخف وزنا بكثير من الجهاز القديم ·

– وهل يمكنك أن تمدنى لتلتقط شيئا ؟ ·

وساد صمت قصير ·

وارسل تمبلار بصره الى فوجيل فرأى على وجهه نفس الجمود الرهيب · نفس القناع الذى لا يكشف ذرة من دخيلة نفسه ·· كان ولايزال كأنه قطعة من الحجر ·

وارتفع صوت الاستاذ يول فقال :

– نعم ·· لقد التقطت حجرا من الارض ·· بكل سهولة ·

واعقب ذلك ضحكة ثم قال :

– هذه سمكة وقفت تنظر الى من خلال الكوة · وقد حاولت ان امسكها ولكنها افلتت منى ·· والان سأحاول ان امشى فمدوا لى الحبل قليلا ·· ارخو لى عشرين قدما اخرى ·

ودارت العجلة بضع ثوان ثم تلا ذلك سكون عميق ·· وبدا على من على ظهر اليخت وجوم غريب كأنما يتوقعون نكبة غير منتظرة ! ·

وخيل الى تمبلار ان الجو متوتر مشحون بالكهرباء · واشتد خفقان قلبه وتصلبت عضلات وجهه وبدأت اعصابه تتحفز وتتوثب ·· حين نظر الى فوجيل رأى على وجهه نفس القناع الحجرى ·

وارتفع صوت الاستاذ يقول فقال :

– انى استطيع ان امشى بسهولة .. لقد مشيت نحو ثلاثين خطوة فى جهتين مختلفتين · ان المشى بطىء ولكنه لا يتعب الا قليلا · وجهاز الرطوبة ثابت لم يتأثر ·

وارسل تمبلار بصره الى فوجيل ·· ولاول مرة رأى القناع الحجرى يسقط عن وجهه فترتسم فى عينيه دلائل الظفر والانتصار مصحوبة بأمارات القسوة والوحشية ·· ثم ارتد القناع الى مكانه كما كان ·

واخرج فوجيل منديلا مسح به جبينه وقال :

– لقد نجحت التجربة ·· !

على أنه ما كاد ينطق بهذه الكلمات حتى ارتفع صوت الاستاذ من خلال البوق المكبر قائلا :

– لقد بدأ الهواء يقل ·· يظهر ان هناك خللا فى اسطوانة الاكسجين ·· وربما كان احد الصمامات فاسدا ·· سأستعمل الاسطوانة الاخرى · ولكن أظن انه يحسن بكم أن تخرجونى ·· !

فرفع فوجيل يده وصاح فى صوت حاد :

– اخرجوه !

وامسكت لوريت بذراع تمبلار ·· وغرزت اصابعها فى لحمه ولكنه لم يشعر بشىء من هذا اذ كانت المفاجأة الرهيبة قد استحوذت عليه وملأت ذهنه فلم يعد يشعر او يفكر فى شىء آخر .. اذن فهذه هى المكيدة الجهنمية التى دبرها فوجيل للتخلص من الاستاذ يول ·· ! افسد اسطوانتى الاكسجين ·· او افرغ شطرا كبيرا مما فيهما من الهواء وانزله الى قاع البحر حتى يموت هناك اختناقا ·· ! فيكون الحادث قضاء وقدرا ·· لا جريمة مدبرة ·

وصح ما توقعه تمبلار اذ ما لبث المهندس أن قال :

ـ لقد أصيبت المحركات بخلل فيستحيل ادارة العجلة واخراج الجهاز الا بعد اصلاح هذا الخلل .

فتكلم فوجيل في التليفون فقال :

ـ أنهم يصلحون الالة الرافعة يا أستاذ .. وسنخرجك بعد بضع دقائق .

ثم التفت الى المهندس وقال :

ـ عجل باصلاح هذا الخلل .. واياك أن تتهاون .

وبعد فترة قصيرة ارتفع صوت الاستاذ قائلا :

ـ ارجو الا يكون الخلل خطيرا فان الاسطوانة الثانية معطوبة ايضا .. وقد بدأ الضغط يشتد فارجوكم ان تسرعوا !؟

وكان تمبلار واقفا في مكانه كانه تمثال من الحجر عضلات وجهه متصلبة .. وعيناه باردتان كحد السيف .. وقبضته متوترة وقد انغرزت اظافره في راحة يده حتى كادت تسيل منها الدماء !

هاهو الاستاذ بول يموت امام عينيه .. بجريمـــة ـــدبرت بعناية وهاهو ذا تمبلار يقف عاجزا مكتوف اليدين لا يملك ان يخف الى نجدته وانقاذه .. وهل في وسعه ان يفعل شيئا حيال الالة الرافعة المعطلة !.. انه كان يعلم انها غير معطلة .. وما تلك الحجة الا ادعاء كاذبا يراد منه التوصل الى ابقـــاء الاستاذ بول في قاع اليم حتى يفسد الهواء فيموت اختناقا .. ولكن كيف يتدخل ؟ وكيف ينقذه ؟

وهتفت لوريت باج تقول في صوت متوسل :

ـ أليس في وسعنا ان نفعل شيئا ؟

فاجابها فوجيل قائلا :

ـ انني لست مهندسا ولا افهم في المسائل الميكانيكية

وبعد لحظات صعد المهندس من بطن اليخت وقال :

ـ لقد احترق الموتور .. والعمال منهمكون الان في اصلاحه وساد الحاضرين وجوم طويل وايقن تمبلار ان اللحظة الرهيبة قد دنت .

وارتفع صوت الاستاذ بول يقول :

ـ لقد بدأ الهواء يفسد .. ويخيل الى انى اوشك ان اختنق .. فماذا جرى ؟

فاجابه فوجيل في هدوء :

ـ اننا نحاول ان نصلح الالة الرافعة .

وبعد لحظات تكلم الاستاذ ثانية قائلا :

ـ كاد الهواء ان ينفذ !

وكان صوته مبحوحا متهدجا . ونظر تمبلار الى لوريت فراها ممتقعة اللون وصدرها يعلو وينخفض وقد نمت عيناها على التأثر الشديد .

وتكلم القديس قائلا :

ـ الا يمكنك ان تصل الحبال بالة اخرى رافعة ؟

ـ ليس في اليخت آلة اخرى يمكن ان تحتمل هذا الثقل .

ـ اذا كان لديك كتل ضخمة من الحديد امكننا ان نربطها في طرف الحبال وندليها في البحر من الناحية الاخرى فتهبط على حين يرتفع الجهاز من الجهة المقابلة .

ـ ان اخراج الجهاز بواسطة الالة الرافعة يستغرق ثلث ساعة .. واخراجه بالطريقة التي تقول عنها لا يمكن ان يستغرق اقل من ساعة على حين ان الهواء الموجود في الجهاز لا يكفي اكثر من بضع دقائق .

وارتفع صوت الاستاذ يقول :

ــ بدا الدوار يصيبنى انــمر بضغط على صفرى اسرعوا والا فلا فائدة .

وادرك تمبلار ان ساعة العمل قد حانت .. وان لا داعى للانتظار اكثر من هذا . فتظاهر بانه يتمشى على ظهر اليخت حتى اذا اقترب من شلنبرج الذى كان واقفا الى جوار الازرار التى تحرك الالة الرافعة أخرج مسدسه فجاة وصوبه الى شلنبرج وهو يقول :

ــ ابتعد عن الازرار !

فظهرت الدهشة على وجه شلنبرج وقال :

ــ ماذا دهاك يامسيو تومز ..؟

وارتفع صوت فوجيل قائلا :

ــ اجننت يامسيو تومز ..؟

فاجابه تمبلار فى صوت رهيب :

ــ لم اجن بعد .. ولكنى ساجن فورا اذا ابى شلنبرج ان يتنحى عن هذه الازرار .. وفى هذه الحالة سنفقد شلنبرج الى الابد !

فقال فوجيل فى صوت هادىء كانما يخاطب رجلا ثملا او معتوها :

ــ ولكن ما الفائدة من هذه الثورة الجنونية يامسيو تومز وانت ترى اننا لم ندخر وسعا فى عمل كل مانستطيع .؟

ــ هناك شىء واحد لم يعمل بعد .. فتنح ياشلنبرج عن الازرار وسترى ان الالة الرافعة غير مطلوبة .. ؟

ــ ولكن ياعزيزى تومز .

وفى هذه اللحظة ارتفع صوت لوريت باج وهى تصيح محذرة :

ــ وراءك .. !

واستدار تمبلار فى حركة سريعة ليرى بحارا قد اقترب منه من الخلف وفى يده هراوة من الحديد وقد رفعها وهم بان يهوى بها على رأسه .

واستطاع تمبلار ان يتقى الضربة التى سددها اليه البحار .. ولكنه لم يستطع أن يتقى الضربة التى سددها اليه شلنبرج اذ اغتنم الفرصة واختطف احدى الادوات الحديدية الموضوعة الى جانبه وهوى بها على رأس تمبلار .

وخيل الى تمبلار ان عينيه وثبتا من محجريهما .. وبدات الدنيا تدور أمام بصره .

ثم أعقب ذلك ظلام دامس .. !!

الفصل الرابع والعشرون

عندما فتح تمبلار عينيه ألفى نفسه جالسا على أحد المقاعد وعلى مقربة منه فوجيل وشلنبرج ويد كل منهما فى جيبه دلالة على انهما على استعداد لمواجهة اى خطر . وكان تمبلار غير مقيد . حتى ليخيل لمن يراه انه ضيف يزور صاحبيه .

وقال تمبلار :

ــ لم يكن هناك مفر مما حدث .. فقد كنت بين نارين فاما أن ينالنى البحار من الخلف .. واما ان ينالنى شلنبرج من الامام .. انى اهنئك يا عزيزى ببراعتك فى وضع الخطط . ولكن كيف حال الاستاذ .. ؟

فكان الجواب :

ــ مما يؤسف له ان الآلة اصبحت بعد فوات الوقت يا مسيو تمبلار .

فهز القديس رأسه وقال :

ــ اذن لقد عرفت اسمي .

ــ طبعا .. الاتذكر ذلك الصحفي المصور الذي التقط صورتنا ونحن جالسون مع الاستاذ في المطعم ..؟ انه جاسوس من جواسيسي .. قد سافر بالصورة الى لندن وعرضها على بعض الاصدقاء فعرفوا شخصيتك .. والبرقية التي جاءتني في هذا الصباح ونحن على ظهر اليخت كانت تتضمن هذه البيانات فدعاني هذا الى ان اغتال الاستاذ بول قبل الوقت الذي كنت قد حددته .. فمادام تمبلار قد برز الى الميدان فالحكمة تقضي بسرعة العمل .

وانتقل تمبلار بخواطره الى لوريت باج .. كانت حتى هذه اللحظة لا تزال في موقف تعتوره الشكوك .. اما وقد صرخت تحذره من مهاجمة البحار فقد انكشف من امرها ما كانت تخفي . واخذ يسائل نفسه عما فعل بها فوجيل .. ولكنه لم يجرؤ على ان يوجه اليه هذا السؤال خشية ان يزيد الموقف تحرجا بالنسبة اليها .

وتمتم القديس يقول :

ــ وماذا تنوي ان تصنع بي ..؟

ــ ان الامر متوقف عليك انت .

وساد صمت قصير قطعه فوجيل بقوله :

ــ لقد سببت لي يا تمبلار متاعب جمة .. والحادث الذي وقع يمكن ان يعد نكبة لم اكن على استعداد لواجهتها ..

ــ اتقصد موت الاستاذ بول ؟

فهز فوجيل رأسه قائلا :

ــ كلا .. فبقاء الاستاذ او موته سيان عندي مادامت التجربة قد نجحت .. ولكني اقصد ذلك الرجل الذي سطا على يختك بالامس .

فضحك القديس هازئا وقال :

ــ انك فيما ارى رجل له قلب يشعر ويحس .. ايحزنك موت هذا اللص العادي ؟

ــ انه لم يكن لصا عاديا .. بل هو ابرع رجل في اوروبا في تحطيم الخزائن .. ومن هذا ترى اني في حاجة اليه . فيجب ان تعيده الي على الفور ..

ــ هذا مستحيل يا صديقي .. فان ما تطلبه لا يستطيع الا رجل يستحضر الارواح .

ــ تريد ان تقول انك اصدقتني القول حين قلت انك قتلته ؟

ــ ان تمبلار لا يكذب يا عزيزي ..

ــ وانت الذي قتلته ؟

ــ خادمي هوراس .. والامر لا يمكن ان يسمى قتلا الا اذا وصفنا موت الاستاذ بول بهذا اللفظ .

ــ وهل ذهبت به الى الشاطيء ؟

ــ كلا .. فمن كان مثلي لا تبلغ به الحماقة ان يذهب الى مخافر البوليس حاملا جثة قتيل والا عرض نفسه لاسئلة يوجهها اليه بعض رجال البوليس السخفاء .

ــ اذن ماذا فعلتم به ؟

ــ دفناه في قاع البحر .

وجعل فوجيل يتفرس في تمبلار ثم قال :

- انى اصدقك .. بل قد صدقتك وانت تروى لنا الحكاية فى الصباح .. وهذا هو الذى دعانى الى الابقاء عليك حيا الى الان .

- ما اكرمك !

- اما متى تموت فهذا امر يتوقف عليك انت .

وكان فوجيل قد امر احد البحارة بان يحمل الى تمبلار كاسا من الشراب فتناول هذا جرعة صغيرة ثم قال :

- دع اللف والدوران وصارحنى بما فى نفسك .

- انك مسئول عن مصرع هذا الرجل .. وليس من السهل ان استعيض عنه بسواه . والوقت ضيق لا يحتمل الامهال ولهذا ساطلب اليك ان تحل مكانه .

فابتسم القديس فقال :

- ماذا تقصد ؟

- اسمع يا تمبلار .. اننا ذاهبون الان الى الموضع الذى غرقت فيه الباخرة شالفونت فى شهر مارس الماضى على مقربة من منار كاسكيه .. ولعلك لا تزال تذكر ان هذه السفينة كانت تحمل شحنة من السبائك الذهبية قيمتها خمسة ملايين من الجنيهات .. وهذه الشحنة مودعة فى الخزانة الحديدية الخاصة بالباخرة . وكنت قد اتيت معى بالرجل الذى قتلته انت ليحطم هذه الخزانة فهو كما قلت لك ابرع رجل فى اوروبا فى تحطيم الخزائن .. فالان وقد خسرته لا مفر لى من ان استعين بابرع رجل فى العالم (لا فى اوروبا وحدها فى تحطيم الخزائن .. اعنى بك انت !

وادرك القديس فى هذه اللحظة لماذا بقى عليه فوجيل حيا . وقال :

- اتريد ان تنزلنى الى قاع البحر لاحطم خزانة الباخرة ؟

- هذا هو قصدى .

- فى جهاز الاستاذ بول .. ؟

- كلا .. بل فى جهاز غوص عادى . فان الباخرة شلفونت مستقرة على عمق مائة وعشرين قدما فقط . والاجهزة العادية تكفى لبلوغ هذا العمق .

- امعنى ذلك انك تعرض على ان اكون لك شريكا ؟

- بل اعرض عليك فرصة لانقاذ شريكتك .

وشعر تمبلار كان قلبه وثب فى صدره .. ان فوجيل يهدده بقتل لوريت باج ان هو ابى ان يرضخ لما يطلب منه . وفى مثل هذا الموقف يكون الرفض حماقة وجنونا .. ولكنه قال زيادة فى الاستفسار :

- وماذا يحدث اذا انا رفضت ؟

فهز فوجيل كتفيه قائلا :

- انك يا تمبلار اذكى من ان تسالنى ان اطلعك على نواياى فانت تعلم ما يجرى فى خاطرى . ولكن اذا نفذت ما اطلب منك اوصلت لوريت باج الى الشاطىء فى الوقت المناسب سالمة وعلى قيد الحياة .

- اهذا كل شىء ؟

- حسبك هذه المحنة .

- وما يدرينى انك ستبر بوعدك ؟

- لا شىء طبعا .. ولكن عليك ان تختار اهون الشرين . وما دام الامر موكولا الى ارادتى فلتبيقه

رغبتى يفسح لك على الاقل وقتا ترجو فيه وتؤمل وتدبر وسائل الخلاص . وانا اعلم انك رجل لا يداخله اليأس الا بعد ان يزهق النفس الاخير .. فلديك ربع ساعة لتأتينى بعدها بما استقر عليه رأيك !

الفصل الخامس والعشرون

لم يمض تمبلار هذه المهلة على ظهر اليخت وانما امضاها فى الغرفة السرية المصفحة التى أمر فوجيل بنقله اليها . فما كاد يدخلها حيث القى لوريت باج جالسة فيها فاحتواها بين ذراعيه وقبلها وقال لها :

ـ أخيرا قد التقينا .

فابتسمت وقالت فى شجاعة :

ـ التقينا لنفترق .. الفراق الابدى .. ولكنى سعيدة مع هذا !

فهز تمبلار كتفيه فى غير اكتراث وقال :

ان امامى ربع ساعة اظل فيها سعيدا .

ثم قص عليها ما كان من حديث فون فوجيل معه فقالت له :

ـ وهل تنوى أن تفعل ما يطلب اليك ؟

ـ طبعا .. فالرضوخ هو ثمن النجاة .

ـ وهل صدقت وعده ؟

ـ ولم لا ؟ ان اللص لا يقدم عادة على جريمة القتل الا

اذا الفى نفسه فى مأزق لا خلاص منه الا بارتكاب هذه الجريمة .

ـ أنسيت انه قتل الاستاذ بول .. ؟

هذا طبيعى .. والدافع الى القتل هو انه اراد ان ينفرد بالاستيلاء على غرفة الغوص دون أن يشاركه احد فى معرفة سر هذا الاختراع .. ولكن اى دافع يحمله على قتلنا نحن ؟

ـ ليضمن سكوتنا وعدم افشائنا قتله الاستاذ بول .

ـ وهل لديه دليل على انه قتل الاستاذ بول عمدا ؟ ان ما شهدناه انما يدل على انه بذل كل جهد فى سبيل انقاذه .. ولكن ما حيلته وقد تعطلت الآلات ؟ ومن المستحيل أن نثبت العكس وعنده من الشهود عشرة يؤيدون كل حرف مما يقول . فبقاؤنا على قيد الحياة لن يؤذيه فى شيء . اما موتنا فلن يفيده لانه يعلم بطبيعة الحال أن لنا أصدقاء فى الخارج يعلمون مثلما نعلم انه لص السفن الغارقة . فاذا كان دافعه الى قتلنا رغبته فى كتمان هذه المعلومات فلن ينجح فى ذلك لان اصدقاءنا على معرفة بنفس المعلومات فضلا عن أنهم يعرفون أننا فى هذا اليخت .. فاذا لم نرجع سالمين كان موقفه حرجا .. وفى ساعات يبتر من رجالى روجر كونواى وبيتر كوينتين .

فقالت لوريت معترضة :

ـ قد يكون كلامك صحيحا فيما يتعلق بى أنا شخصيا .. فهو يعلم انى لا املك شيئا حياله الا فى حدود القانون . وما دام شهوده حاضرين فلن يؤذيه

اطلاقه سبيلى لانى عاجزة عن أن اثبت شيئا ضده · اما بالنسبة اليك فالامر يختلف عن هذا · لانك قد ترجع اليه مع عصابتك فتبطش به · ولذلك استغرب كيف تبلغ به الحماقة أن يفرج عنك ·

فابتسم القديس وقال ضاحكا :

لو أنك كنت قاضية الارعبت المتهمين بـاسئلتك الدقيقة ·

ـ ولكنى اريد جوابا على اعتراضى !

ـ يحتمل ان يعتقد انى بدأت اخشى وساكف عن النضال بعد ان رأيت من بطشه وقوة بأسه ·

ـ فى هذه الحالة يكون فوجيل اغبى الاغبياء ·

وذلك لان سيمون تمبلار حين قص عليها حديث فوجيل ذكر لها أنه طلب منه تحطيم الخزانة مقابل اطـلاق سراحهما · وكتم عنها أن الثمن هو اطلاق سراحها هى وحدها ·

وسمعا دوى قارب بخارى فنظر تمبلار من خلال الكوة فرأى قارب اليخت يقترب الى فنارة كاسيكيه الذى كان على مسافة بضع عشرات من الامتار وعلى ظهره فـارون شلنبرج مع ثلاثة من البحارة . وارسـل تمبلار بصره الى الفنار فرأى العاملين مستندين الى السـياج وهما ينظران الى ناحية اليخت فارتسمت على شفتيه ابتسامة حزينة وقال :

ـ سيقتل شلنبرج عاملى الفنار حتى لا يريا عمليـة انتشال الذهب ·

وحين رجع القارب الى اليخت كان شبح العاملين قد اختفى من شرفة الفنار فتمتم تمبلار يقول :

ـ هـذان بريئان آخـران ذهبا ضحية على مـذبح الجشع ·· !

واعقب هذا وقع خطوات تدنوا من الباب فاحتوى تمبلار الفتاة بين ذراعيه وقبلها ثم قال :

اخائفة انت ؟

فنظرت فى عينيه وقالت :

ـ ليس الان ! وان كنت لا اكتم عنك انى لا احب ان اموت ·

وقبلها تمبلار مرة أخرى ·· وامسك بوجهها متفرسا فى عينيها ·· وجعل يلمس شعرها ووجنتيهـا ·· وجبينها · كما يلمس العابد صنمه المقدس متبركا به ·

وكانت عيناها حالمتين ووجهها وديعا .

وتمتمت تقول : انك ستظل تذكرنى كما انا الان ؟

دائما ·

ـ انهم آتون ·

وفتح الباب وظهر على عتبته كيرت فوجيل ويده فى جيبه فوق مقبض مسدسه وخلفه رجلان · وقال : والان ما هو جوابك ؟

فقال القديس فى صوت هادىء : انى على استعداد لما تريد ·

واقتيد تمبلار الى ظهر اليخت فذ... البدلة غوص عادية من الطراز الذي يستعمل للوصول الى الاعماق القريبة . فشرح له فوجيل كيفية استعمالها قائلا :

فاذا ادرت هذا المفتاح تسرب منها الهواء وهبطت تدريجيا بمساعدة الاثقال التي سنضعها فوق كتفيك . فاذا ما بلغت القاع فادر المفتاح مرة اخرى بحيث يدخل اليك من الهواء القدر الذي يكفي للتنفس وهناك ادوات تحطيم الخزائن التي كان قد أعدها صاحبنا الذي قتل . وسيرافقك كارلوف ليرشدك الى مكان الخزانة اذ انى بينتها له على رسم الذي مثل ترف الباخرة . كما انه سيحمل الشعلة الهيدرو اكسجينية التي تستعمل لاذابة الفولاذ تحت الماء .. وسيستعملها طبقا لارشاداتك .

فقال القديس : لقد فهمت .

ـ وسأكون على اتصال بكما طول الوقت بالتليفون فارجوك ان تخطرني أولا بأول عما تفعل . واذا ما نجحت في تحطيم الخزانة فعليك أن تساعد كارلوف على نقل الذهب الى الالة الرافعة التي سندليها الى القاع ..

واظن ان هذه هي كل تعليماتي .

ولبس كارلوف بذلة غوص مماثلة . ثم سمع تمبلار صوت فوجيل وهو يخاطبه تليفونيا : اتسمع صوتي ؟

ـ نعم .

وانطلقت مخالب الالة الرافعة على جهازي الغوص واخذت تدليهما الى الماء . وبعد بضع دقائق وقد اقترب الجهاز من القاع شعر تمبلار بالبرودة الشديدة

تسري الى بدنه حتى خيل اليه ان يديه توشكان ان تتجمدا . ولما استقر على الارض سمع صوت كارلوف الذي كان على قيد خطوات منه يقول :

ـ ادر مفتاح الهواء .

فعرف ان الجهاز التليفوني الذي يصله باليخت فيه تحويلة تصله ايضا بجهاز كارلوف .

ومشى كارلوف بضع خطوات وتمبلار في اثره حتى الفى نفسه أمام حطام السفينة ففتح جراب الادوات الذي كان يحمله معه وشرع يعالج باب الخزانة الحديدية الضخمة التي تضم بين جدرانها سبائك ذهبية قيمتها خمسة ملايين من الجنيهات .

وعلى الرغم من حرج الموقف .. وعلى الرغم من أن تمبلار كان يعرف أن هذه المغامرة هي خاتمة حياته الا انه ما ملك أن شعر بتوتر أعصابه اذ كانت هذه أول سرقة من نوعها يقدم عليها .. لقد سرق على ظهر الارض .. وفي الجو .. وفي البحر .. ولكنه لم يرتكب قط سرقته في قاع البحر ..!

وتكلم القديس في التليفون قائلا : لقد شرعت في العمل .

وكانت لوريت تنظر الى الماء كانما تتوقع أن يثب تمبلار من الامواج كما خرجت اليه يوما في الضباب . أما فوجيل فكان جالسا على مقعدو وجهه الحجري لاينم عن شيء مما يجري في نفسه .

وتتابعت الدقائق .. وكانت مثقلة رهيبة .. اثرى

يبلغ تمبلار في تحطيم الخزانة وهي من طراز يعجز دون فتحه اعظم الخبراء .. ؟ واذا فتحها فما الذي يمكن ان يترتب على هذا من النتائج ؟

وبعد اربعين دقيقة ارتفع صوت تمبلار يقول في هدوء :

- فتحت الخزانة .. !

ولاول مرة أشرق وجه فوجيل اذ كان يعتقد ان فتحها احد المستحيلات .. !

الفصل السادس والعشرون

ما كاد صوت تمبلار يخفت حتى ارتفع صوت كارلوف يقول :

- نعم .. لقد فتح الباب .. والخزانة مملوءة بالذهب .. !

- وماذا تريد منا ان نرسل الك .. ؟

- ان نقل هذا الذهب يستغرق وقتا طويلا ، ولكن انتظر لحظة .

وبعد لحظات ارتفع صوته ثانية يقول :

- ان الخزانة مجاورة للسلم .. وفوق السلم سقف من البللور .. فاذا حطمناه أمكن ان تدلوا الينا الرافعة لتدخل خطافها من الفجوة التي احدثناها وننقل الذهب بواسطتها .. وهذا يوفر شطرا كبيرا من الوقت . ولكننا

لا نستطيع أن نمكث هنا الا دقائق قليلة فقد مضى علينا نحو ثلاثة ارباع الساعة .

ففكر فوجيل ثم قال : حطم الزجاج أولا ثم نسحبك بعد هذا .

والتفت الى اثنين من رجاله المجتمعين حوله وقال :

- استعد يارانفيل أنت وفاريل للهبوط بمجرد خروجهما .. اما أنت يابيلاندين فتول ادارة الالة الرافعة .

واسترسل يصدر أوامره وتعليماته الى أن ارتفع صوت كارلوف يقول :

- لقد أحدثنا ثغرة كبيرة في السقف البللوري فاسحبونا الآن فقد بدا الهواء ينفد .

فاومأ فوجيل برأسه الى أحد رجاله فشرع يدير العجلة المشدود اليها جهاز الغوص الخاص بكارلوف .

ونهض فوجيل واقفا ومشى في بين الكترات حيث الانابيب المتصلة بالجهازين .. وكانت مشية هادئة غير حافلة بشأن الرجل الذي يهم بأن يقذف الى البحر بعقب سيجارته .

ثم انحنى فوق احدى الانابيب المطاطية .

وكان اقترابه منها محفوفا بالجمود وعدم الشعور الى درجة أنكرت معها لوريت انه يقدم على جريمة هائلة وانه ينوي أن يحبس الهواء النقي عن تمبلار فظلت يتنازعها الشك في نواياه الى أن أدركت أخيرا الحقيقة الهائلة .

واتسع حدقتاها رعبا .. لقد رأيت من قبل اناسا كثيرين يموتون . بل لقد جابهت هي نفسها الموت . ومنذ فترة وجيزة رأت الاستاذ بول وهو يقتل بمثل هذه الطريقة .. ولكنها ما شعرت من قبل بمثل هذه البرودة التي سرت في مفاصلها .. وما شعرت بمثل هذا الفزع الذي اعتصر قلبها حتى كاد يسحقه سحقا ..

وبدون أن تشعر بما تقول أن تفعل . أو يجري في خاطرها . كانت قد وثبت الى ناحية فوجيل في غير وعي منها فتعلقت بذراعه وأبعدت يده في عنف عن الانبوبة الطافية . وتناهى الى سمعها صوت باك متوسل يقول : كلا .. كلا .. ! لا تفعل هذا .. !

وادركت لدهشتها انها انما تسمع صوتها .. !

ـ كلا .. ! كلا .. !

ـ ماذا جرى يا عزيزتي لوريت ..!

وكان فوجيل يتفرس فيها بنظرات تدل على الازدراء والاستخفاف وكانت واقفة ازاءه ويدها قابضة على ذراعه .. وصدرها يعلو وينخفض بشدة كانها جاءت تجري اليه من مسافة بضع مئات من الامتار .. ثم ساعف من انفعالها أن رأت العجلة التي تسحب جهازي الغوص قد توقفت فجأة .

وهتفت لوريت باج قائلة :

لماذا فعلت هذا .. ؟

ـ ماذا فعلت .. ؟

اوقفت اخراجهما .. ؟

ـ ياعزيزتي هذه هي العملية الطبيعية . فالرجل الذي يلبث في قاع البحر ثلاثة أرباع الساعة تتشبع دماؤه بالنتروجين .. فاذا اخرج من الماء بسرعة وارتفع عنه الضغط الهائل فان الغاز سيجعل دماءه تدفق من مسامه كما يحدث عندما تفور الشمبانيا اذا ما رفعت السدادة ويصاب في هذه الحالة بالشلل المعروف باسم شلل الغواصين .. فيجب اذن أن يرفع عنه الضغط تدريجيا .. ولهذا نظام معين مبين في جداول توضع خصيصا لهذا الغرض . لقد اوقفتهما على عمق ثلاثين قدما ليبقيا هناك نحو خمسة دقائق .. ثم عشر دقائق على عمق عشرين قدما .. ثم ربع ساعة على عمق ..

وادركت لوريت انه يهزأ بها ويموه عليها فصاحت في انفعال :

ـ ولكنك كنت تهم بأن تفعل شيئا آخر .

ـ ماذا تعنين ياعزيزتي ؟

ـ كنت تنوي أن تعطل احدى انابيب الهواء

ـ يا عزيزتي .

ـ اما كنت تنوي تفعل هذا ؟

فنظر اليها في برود كانما يتفرج على طفلة تلهو فصاحت به :

ـ لا داعي للكذب .. اني اعرف انك كنت ستقتله !

ورأت سحنته وقد انقلبت وارتسمت عليها امارات القسوة وسقط القناع الحجري الذي يخفي وراءه انفعالاته وعواطفه .. ثم قال :

ـ وعيني كنت ساقتله ! فالى اية درجة يحزنك موته؟

فكان جوابها :

ـ يحزنني الى درجة لا تستطيع انت ان تفهمها .. او تتصورها .

ثم انطلقت الكلمات من فمها جارفة .. قوية .. طاغية .. كالسيل الداهم :

ـ انى اعرف سبب نزوله .. انى اعرف سبب موافقته على ان يفتح لك الخزانة .. انه ماكان ليأمل هذا لينقذ حياته .. ان من كان مثله لا يمكن ان يصدق كلمة تصدر عنك .. لقد عرف انك اعتزمت ان تقتله بمجرد فتحه الخزانة .. ولكنه لم يكن خائفا .. لقد رأيته وتحدثت اليه ، لقد حاول ان يخفى عنى الحقيقة .. كان رائعا فى موقفه ! كان شهما ! ولكنى ادركت ما يخفى ! لقد عرفت انه انما رضى بأن يحطم الخزانة لكى ينقذ حياتى انا .. اما حياته هو فكانت مرخصة لا شأن لها !

فابتسم فوجيل وقال فى تهكم :

ـ اذن فتمبلار شهم نبيل ! يموت لكى ينقذ شرف سيدة .. ! لا ريب انى اذن لم افهم نفسيته حق الفهم .. !

ثم ضحك ضحكة رهيبة وصاح فى صوت عنيف :

ـ ايتها الحمقاء ! ان تمبلار ليس من هذا الطراز !

ـ لقد قلت له انى لا احب ان اموت .. ففعل هذا ليمنحنى الحياة .

فهز فوجيل كتفيه قائلا : يا له من شهم نبيل !

ـ الم اقل لك انك لن تستطيع ان تفهم ! انك ساومته على حياتى ، ووعدته بأن تبقى على حياتى اذا رضخ لما تريد منه ! أليس كذلك ؟

فتنهد فوجيل وقال :

ـ لقد هيأت له على اية حالة فرصة يظهر فيها نبله وشهامته !

وانحنت ثانية فوق انبوبة الهواء .. ولكنها عادت تبعده عنها وهى تصيح متوسلة :

ـ ارجوك ان تطلق سراحه .. ! دعه وشأنه ! اكراما لى !

ـ اكراما لك !

وضحك فوجيل ضحكة جنونية هائلة ثم صاح يقول فى صوت متهدج :

ـ اكراما لك ! اتحسبين ان لك عندى مكانة تجعلنى اقيم وزنا لرجائك وتوسلاتك ؟ لقد حاولت ان تخدعينى حاولت ان تهدمينى وتخربينى بجمالك واغوائك .. ولكنك كنت تنوين ان لا تقدمى الى شيئا !. ومع هذا فمن اجلك جازفت .. وقذفت بنفسى الى الاخطار والمهالك .. من اجلك تآمرت بكل شىء لكى ابقيك الى جانبى وانا اعلم انك تدبرين لى المكائد وتتهيأين لطعنى من الخلف ! .. انى ما كنت غبيا او مجنونا ! كنت عليما بنواياك الخبيثة ! ولكنى كنت احبك ! لو انك القيت الى اذ

ذاك امرا لصدعت به ونفذته على الفور ! اما الان فليس لك ان تامري ؟ بل ليس لك ان تضرعي وتتوسلي !

واستدار ثانية الى الانثوية فجذبت لوريت ذراعه فقال لها :

ـ ابتعدى .. والا امرت رجالي بشد وثاقك !

ـ انك لم تنل مني كلما تبتغي . فاذا قتلته لم تنل مني شيئا !

ـ بل سأنال منك ما اشاء .. انسيت انك اسيرة لدي ؟

ـ اذن فنل مني ما شئت عنوة اذا كان في هذا ما يرضيك !

ـ انه يرضيني .

ـ ولكني استطيع ان اعطيك برضائي .. وسكتت .. فقال فرجيل : ماذا ؟

وجعل يتفرس فيها ويدير عينيه في قوامها الغض الفتان ويتأمل صدرها الناهد المغري ويلتهم بعينيه الذهبيتين شفتيها الدقيقتين . وهو يلعق شفتيه وقد ارسلت عيناه بريقا ينم عن تلك الثورة الجارفة التي اشتعلت بدنه وسرت في دمائه .

وتمتم قائلا : ماذا ؟ .

وكان صوته متهدجا .. مبحوحا .. كأنه فحيح الافعى !

وغشت لوريت من بصرها وقد مشت في اوصالها رعدة باردة . ثم اغمضت عينيها وغمغمت قائلة :

ـ اذا تركته يرحل بسلام عشت معك .. لا تنالـــه امنحك من شبابي وجسمي ما شئت .. وعن طيبة خاطر ! .

الفصل السابع والعشرون

حين القى تمبلار نفســه على ظهر اليخت لم يصدق لا يزال على قيد الحياة .. كان يوقن اشد اليقين بان فوجيل سيتركه يهلك في قاع البحر .

كما اعلنه الاستاذ بول من قبل .. لقد حطم لــه الخزانة ومهد له السبيل الى الذهب فلم يبق عليه بعد ذلك وليس ثمة منفعة يمكن أن ترجى من وراء حياته ؟ . بل على النقيض ستكون حياته مفضية الى متاعب كثيرة .. اذ انه لن يصل الى الشاطىء حتى يرتد ثانية في نفر من رجاله فيبطش لفوجيل وعصابته .

ولكنه مع ذلك لايزال حيا يتنفس ويسمع ويرى .. فما السر في الابقاء عليه ؟ وجعل تمبلار يكدح ذهنه محاولا ان يصل الى جواب معقول ؟ . ايكون فوجيل ابقى عليه خوفا مما قد يترتب على موته من النتائج اذ يفكر اصدقاؤه في مهاجمة اليخت ؟ . ولكنه سبب غير معقول فعصابة (تمبلار) اذا فقدت زعيمها كانت اقل خطرا واتفه شأنا مما لو هاجمت اليخت وتمبلار على رأسها !.

كان حيا دون أن يعرف لماذا بقي حيا .. بل ودون ان يعرف الى متى تدوم عليه نعمة الحياة وان كان لا يؤمن في قرارة نفسه بان هذه النعمة لن تطول كثيرا .

ولكن تمبلار كان كما قال فوجيل: رجلا لايفقد الامل الا بعد ان يلفظ النفس الاخير . فلما كان في قاع البحر يعالج الخزانة الحديدية دس في طيات البذلة الفولاذية اداة صغيرة لتهشم الاقفال اختلسها من جراب الادوات التي اعطيت له ليحطم بها الخزانة . فلما صعد الى ظهر

اليخت واخرجوه من البذلة. وقف مستندا عليها برهة متظاهرا بالاعياء ثم طلب قدحا من الويسكي يرد عليه نشاطه وقوته التي انهكها الضغط واحتباس الهواء . واغتنم فرصة فالتقط الاداة من طيات الفولاذ ودسها فى كمه ثم تهالك على احد المقاعد فى انتظار الكاس .

لم يكن يدري ما ينوى ان يفعل بهذه الاداة . ولكنه اراد ان يتهيا لظروف قد تجد ولا يعلم عنها شيئا .

واقبل عليه فوجيل فقال : يظهر انك كنت محقا عندما وصفت مساعدي القتيل بانه لص عادى فانى اذا قستك اليك الفيت كفايتك فى تحطيم الخزائن موضعا للاستخفاف .

فتمتم تمبلار فى تواضع : ليس من الانصاف ان تقارن بى مخلوقا ! . ولكن ما الذى تنوى ان تفعله بى بعد هذا الثناء ؟ .

ــ سأرسلك الى الغرفة المصفحة لتبقى فيها ريثما افكر فى شانك .

واقتيد تمبلار الى الغرفة المصفحة واغلق بابها عليه من الخارج . فارتمى على الفراش واغمض عينيه وهو لا يزال يعجب ويتساءل عن السر الذى ابقى عليه حيا حتى الان ! . وما كان اهون من ان يموت بحادث من حوادث القضاء والقدر فيحبس عنه فوجيل الهواء النقي ثم يزعم ان الجهاز تعطل كما تعطل بالاستاذ بول من قبل .

وكانت لوريت باخ على ظهر اليخت . ورأته وهو يهبط الى الغرفة المصفحة ولكنها لم تدر راسها اليه اذ كانت

تعلم ان الثمن الذى دفعته لافتداء حياته ثمن باهظ . وان تمبلار لا يرضى بهذا .

ثم سمعت صوت شتنبرج يقول : ومتى ينتهى من العمل . . ؟

ــ لا ادرى . . ولكن اظن انه لابد لنا من ان نرسل كارلوف ومع شخص آخر حين يدرك التعب رافييل وفاريل . . ويخيل الى اننا لن نصل الى سانت مارتن الا بعد هبوط المساء .

ــ و... هم فى انتظارنا ؟

ــ سا... طرهم الان بقدومنا .

وكانت لوريت مستندة الى السياج تنظر الى البحر ولا ترى شيئا .

فلما وجه اليها فوجيل الحديث سمعته ولم تفهم شيئا . . كانت اشبه بالاحياء الاموات .

واخذ بذراعها وهو يقول :

ــ انك متعبة يا عزيزتى فهيا بنا لاقدم لك قدحا من الشراب .

فسارت معه دون ان تجيب ودون ان يكون لها ارادة فى متابعته كانها امراة نومت تنويما مغناطيسيا .

وقادها الى غرفة عجلة القيادة ثم ضغط جرسا فلما جاء الخادم امره بان يحمل اليهما اقداح الشراب .

وناولها فوجيل سيجارة اشعلتها ويدها ترتعد . ولكن راسها كانت مرفوعة فى انفة . . انفة الكبرياء الذى لا يشعر ولا يحس . . وكان قلبها يخفق وينبض بشدة .

احلت الساعة الرهيبة ؟ . هل جاء الوقت الذى ينبغى ان تقدم فيه عرضها افتداء للرجل الذى تحب ؟

وشعرت بالخوف يعتصر قلبها . وخيل اليها انها وشيكة بان تفقد شجاعتها . ولكنها كانت تنوى ان تقدم

، فورقين ، هاركفيل ، اصل هذا الاسماء حوالى الناسعة والنصف اعد الفنار والادوار الكشافة ء .

وما كانت لوريت تعلم شيئا عن الاسماء التى ذكرها فى اول رسالته .

ولكن الشيء الوحيد الذى علمته هو انها تستطيع ان تستعمل هذا الجهاز نفسه فى الاتصال باعوان تمبلار .. الم يذكر تمبلار ان له فى فندق رويال صديقين يدعى احدهما روجر والاخر بيتر فاذا ما استطاعت ان تغتنم فرصة فدخلت هذه القاعة واستعملت الجهاز فالنجاة مؤكدة .. فى وسعها ان تتصل بمحطة التلغراف اللاسلكى الموجودة فى سانت بيتر . وهذه بدورها تتولى ارسال البرقية الى الفندق . فمتى تحين هذه الفرصة النادرة ؟

وقالت لوريت تخاطبه : اذن فلديك جهاز لاسلكى .

— ان فائدته لا تقدر فى كثير من الاحيان . وقد اخطرتهم باننا سنصل الليلة .

— الى اى مكان ؟

— الى هاركفيل بالقرب من راس لاهاج .. ان المكان هناك موحش حقيقة .. ولكنه لهذا السبب هو المكان الذى يتفق واغراضى وقد اقمت هناك قصرا فخما يشرف على البحر وانى لاعلم ان الاقامة فيه ستطيب لك .

— وهل ستنزل تمبلار الى البر هناك ؟

فتريث برهة قبل ان يجيبها بقوله : ربما ولكن يظهر انى لن انزله الا بعد مضى فترة من الوقت اذ يجب ان اتخذ الحيطة لحماية نفسى .

— ولكن اذا اقسم لك بشرفه ان ..

فضحك فوجيل ساخرا وقال : وهل لمن كان مثل تمبلار شرف يعول عليه .. ؟ يجب ان لا تركنى كثيرا الى شرفه

على تضحيتها فى غير هيبة او وجل .. هذه التضحية البدنية . هذه المذلة . وهذا العار .. هذا الهوان النفسى — كل هذا ما هو الا افتداء حياة غالية نفيسة . فهل تضحى بحياة رجل من اجل هذه التقاليد التى تواضع عليها الناس ؟ .

كانت تعلم انها تخدع نفسها بمثل هذه الكلمات الجوفاء . فالشرف كان ولا يزال مثلا اعلى تتعلق به القلوب والابصار . ولكنها على الرغم من هذا الاعتقاد كانت مصرة على ان تلبس نفسها العار لتنقذ ذلك الرجل الذى اراد ان ينقذ حياتها وشرفها بتقديم نفسه ضحية الى الموت وهو يبتسم ويضحك هازئا من كل شيء كمن كان ذاهبا الى وليمة .

وسمعت صوت فوجيل يقول لها : اسمحى لى بلحظة قصيرة .

وذهب الى طرف القاعة فارسلت بصرها اليه فرأته يضغط زرا فى الجدار فتحرك دولاب قائم فى ركن الغرفة وانكشف عن فجوة فيها جهاز للتلغراف اللاسلكى . وجلس فوجيل على مقعد ازاء الجهاز وجعل ينقر عليه بطريقة مورس . وكانت لوريت شأن جميع من يعملون مع اجريك تحفظ عن ظهر قلب الرموز الخاصة بهذه الطريقة وتستعملها فى المهام المختلفة التى تتولاها حين يدعو الامر الى ذلك .

فما ان سمعت نقراته حتى نفضت عنها همومها واحزانها وتنبهت فيها غريزة الشرطية السرية فاخذت ترهف السمع الى ضرباته وتحل رموزها .

كانت الضربات الاولى عبارة عن نداء خاص الى المحطة التى يريد الاتصال بها . فلما تم هذا الاتصال اخذ ينقر نقرات كان هذا تفسيرها :

فان من المحتمل ان يرفض ان يتركنا في سلام هياما بك ورغبة في ان يستحوذ عليك لنفسه !

وكانت لوريت تخشى هذا .. كانت تخشى ان يعلم تمبلار بسر تضحيتها فيابى ان ينال الحياة بمثل هذا الثمن فغمغمت تقول في صوت خافت :

– ولكن يجب ان لا يعلم بما حدث .

– هذا طبيعي . ولكن لابد ان تلتمس سببا وجيها تفسر به بقاءك في اليخت .

وسكت فوجيل لحظة ثم استرسل يقول :

– وفضلا عن هذا فلابد لي من ان اصون نفسي من الاخطار . ان هذه الشحنة لا يمكن التخلص منها في غمضة عين . فالسبائك الذهبية ليست كاوراق البنكنوت في سرعة تداولها . وليس من الممكن ايداعها في البنوك .. ولهذا اتخذت لنفسي بنكا خاصا في قاع البحر اكنز فيه هذه الشحنات .. فعلى مقربة من هاركفيل .. وعلى عمق ثلاثين قدما من سطح الماء .. احتفظ بكنوزي من الذهب والجواهر في مكان لا يمكن ان يصل اليه اللصوص العابثون لان بلوغه يقتضي استعدادات فنية تستنفد مالا كثيرا . وسنذهب الليلة الى هذا المكان فنضع هذه الشحنة وبذلك يكون لدي في اعماق البحر اثنا عشر مليونا من الجنيهات اضعها تحت امرك ورهن اشارتك . فما تشتهين شيئا في الدنيا الا كان حاضرا بين يديك في غمضة عين وستعيشين معي كما تعيش الملكات . وبطبيعة الحال يعني ان لا يعرف تمبلار مكان هذا الكنز حتى لا يمد اليه يده فليس في امكاني ان اخلي سبيله الا بعد ان اطمئن من هذه الناحية .

ولم تتكلم لوريت اذا كانت تعلم ان لا فائدة من الجدل والحوار . وانه لن يطلق سراح تمبلار لا اليوم ولا

غدا .. بل سيظل هكذا ينتحل الاسباب الواهية وينتحل الاعذار الكاذبة ليبقيه سجينا !

واقترب منها فوجيل ولمس ذراعها .. ومرت في بدنها رعدة من الاشمئزاز .. وعندما طوقها بذراعه خيل اليها ان افعى رقطاء قد التفت حول عنقها . وحين احتذبها اليه اغمضت عينيها كما يغمضهما الانسان وهو يقذف بنفسه الى هاوية الموت .

وعلى حين فجاة تراخت عضلاتها وترنح جسمها ثم هوت بين ذراعي فوجيل فاقدة الوعي ... !

فاحتملها ووضعها على اريكته ثم وقف فوقها يتاملها بعينين فهمتين ثم هز راسه في استغراب وتركها وانصرف .

الفصل الثامن والعشرون

ظل تمبلار رابضا على فراشه في الغرفة المصفحة وهو يفكر في الخطة التي ينبغي ان يقدم عليها .. لم يكن يدري على وجه التحقيق ما الذي يستطيع ان يفعله بمفرده حيال اثني عشر رجلا مسلحين بالمسدسات وهو غير مسلح الا بمدية يشدها على ذراعه ليستعملها حين الحاجة ولم يفطن اليها خصومه حين فتشوه وجردوه من مسدسه . ولكن الشيء الوحيد الذي كان يعرف ان لابد من الاقدام عليه قبل كل شيء انما هو خروجه من الغرفة المصفحة .

فلما جن الليل وهدأت الاصوات قليلا واجتمع البحارة في غرفهم الخاصة يتناولون الطعام او يقرأون ادرك تمبلار ان ساعة العمل قد حانت فاخرج من كمه اداة تحطيم الاقفال التي كان قد سرقها من بين الادوات التي

حطم بها الخزانة فأخذ يعالج بها باب الغرفة فى حذر وسكون .. ولم تمض على ذلك دقائق معدودات حتى كان القفل مهشما .. وليس معنى هذا ان القفل من نوع ردىء غير متين . وانما معناه ان القفل مهما بلغ من متانة لا يمكن أن يصمد امام تمبلار الا دقائق لا تذكر .. وما صمدت امامه الخزانة الهائلة الا اربعين دقيقة .

وفتح القديس باب الغرفة تدريجيا وهو يصيخ بسمعه الى أضأل الاصوات . فلما لم يسمع شيئا تسلل منه ثم اوصده خلفه ووقف مستترا بالظلام .

كان الدهليز الممتد امامه تقوم على جانبيه ابواب مختلفة موصدة.وما كان يدرى أى باب يفتح .. ؟ والى اية غرفة يدخل .. ؟ فقد يلج غرفة فيجد فيها البحارة مجتمعين فيبطشون به . كان يلهف الى مقابلة لوريت واشباع عينيه من جمالها ، ولكن رده عن هذه الرغبة الملحة الغرفة التى توجد فيها .

ورأى أن أسلم خطة هى أن يصعد الى ظهر اليخت لينبطح على سطح احدى الغرف يرقب .. ويرى . دون أن يرقبه أو يراه أحد كما فعل فى أول مرة تسلل فيها ليلا الى اليخت .

ولما صعد تمبلار الى ظهر اليخت كان الظلام يسوده . ولكنه رأى نورا ينبعث من غرفة عجلة القيادة فوثب الى ظهر اقرب غرفة اليه ثم زحف حتى استقر فوق سطح الغرفة المضاءة .

وتناهى الى سمعه صوت فوجيل وهو يقول :

ـ اتريدين قدحا من القهوة يا لوريت ... ؟

ولم يسمع تمبلار جوابها . ولكنه دلى جسمه قليلا حتى حاذت رأسه أعلى النافذة فاستطاع أن يرى ما يجرى فى الداخل .. كانوا قد فرغوا من تناول

العشاء .. وكان فى الغرفة ثلاثة أشخاص : لوريت .. فوجيل .. وشلتبرج ، وذلك عدا البحار الذى كان يتولى ادارة عجلة القيادة .. وعدا الخادم الذى كان يتردد بين الدخول والخروج .. !

وتراجع القديس قليلا خشية أن يراه منهم أحد اذا رفع بصره الى أعلى النافذة .

ورأى أن من الحماقة أن يثب الى الغرفة فيهاجم اربعة أشخاص وهو غير مسلح الا بمدية لا تغنى عنه شيئا أمام المسدسات التى ستصوب اليه من كل جانب . فآثر أن يتريث وينتظر حتى تحين فرصة مناسبة . وكان مطمئنا الى انهم لن يكتشفوا فراره من الغرفة المصفحة الى فى الصباح حين يحملون اليه طعام الفطور .

وبعد فترة غير قصيرة سمع صوتا لم يسمعه من قبل فرجح لديه أنه صوت الرجل الذى يدير عجلة القيادة وهو يقول :

ـ الانوار يا سيدى !

وفى هذه اللحظة رأى تمبلار على الشاطىء ضوءا ينبعث من ثلاثة مصابيح حمراء وبيضاء وخضراء وتطفأ على التوالى . فادرك انها اشارات معينة لهداية اليخت الى مرساه .. وكان يعلم وهو يرى أنوار الميناء بعيدة طبقا لما استنتجه من قبل حين رأى الصناديق التى تحتوى على سبائك الذهب موضوعة على ظهر اليخت . والى جانبها أجهزة الغوص دون أن يحاولوا تغطيتها .. وما كانوا ليتركوها عارية مكشوفة للانظار وهم يدخلون الى ميناء رسمية .

وقال فوجيل مجيبا : حسنا .

ثم التفت الى لوريت قائلا :

ـ اصفحى عنى يا عزيزتى اذا ارسلتك الى الغرفة

فانى اخشى ان تفكرى فى القاء نفسك الى البحر والسباحة الى الشاطىء كما فعلت من قبل ٠

فقالت الفتاة : الى الغرفة ، ولكن ليس مع تمبلار

وكان صوتها حافلا بالتوسل والخوف ٠

واجابها فوجيل بقوله :

ـ كلا بالطبع ٠٠ فان الامر يصبح شاقا عليك اذ ذاك ٠٠ يمكنك أن تذهبى الى غرفتك الخاصة ٠٠ وسآذن لك بمغادرتها فى أقرب وقت

واحنت الفتاة راسها ومشت خلف الخادم ٠ واستطاع القديس أن يلمح وجهها فرآه جامدا خائفا وفى عينيها نظرات تدل على المهانة والذلة فتكشفت له حقيقة الامر وعرف على الفور السر فى بقائه حيا حتى الآن ! انها تخشى ان تجتمع معه فى مكان واحد حتى لا يرى العار الذى ركبها ٠٠ والفضيحة التى انحدرت اليها ٠٠ والهوان الذى تمرغت فى أدرانه ٠٠ لقد باعت نفسها الى فوجيل لتنقذه ٠٠ باعت عرضها ٠٠ وشرفها ٠ وسمعتها لتمنحه الحياة !

وتحفزت عضلات تمبلار ٠٠ وتوترت أعصابه ٠٠ وخيل اليه انه يوشك ان يثب الى الغرفة فينشب اصابعه فى عنق فوجيل ويزهق انفاسه ٠

ولكنه كان يعلم انها خطوة حمقاء ، فكظم ما بنفسه وراضها على السكون والتريث ٠ وبذل فى ذلك جهود الجبابرة حتى لقد شعر بأن الدماء توشك أن تتفجر من عروقه ٠

وارتفع صوت شلنبرج قائلا : وهل سننزل الذهب الليلة ؟

ـ هذا أسلم ٠ فسرعة العمل أسلم عاقبة اذا ما برز تمبلار الى الميدان فان من المحتمل أن يكون قد تمكن

بطريقة شيطانية من الاتصال بأعوانه واخطارهم بما حدث ٠ بل انى أرى من الحكمة أن أغرق اليخت واكف عن هذه الاعمال مؤقتا حتى يهدأ الجو وحسبى الملايين التى اجتمعت عندى ٠ وفى وسعنا فيما بعد أن نشترى يختا جديدا ونعاود العمل ٠ ولكن لا تنس يا عزيزى شلنبرج أن مهمتك هى أن تتولى تصريف السبائك والجواهر الخام ٠

ـ لقد شرعت فعلا فى هذا واتخذت العدة قبل أن نغادر -
فينار ٠

ـ اذن فكل شىء على ما يرام ٠

وجاءت هذه الجملة الاخيرة الى اذنى تمبلار من طرف القاعة فارسل بصره ورأى ان فوجيل قد فتح احدى النوافذ ووقف يطل منها الى البحر ٠

ونظر القديس بدوره الى البحر فرأى قاربا يدنو من اليخت وفى مقدمته مصباح كشاف باهر الضوء ٠ فضاعف من التصاقه بسطح الغرفة حتى لا يبدو جسمه فى غمار النور الكشاف ٠

ولما حاذى القارب اليخت سمع القديس صوت فوجيل وهو يقول :

ـ أهلا بك يا عزيزى فورتنييه ٠٠ اصعد ٠٠ اصعد ٠٠ ثم تحول الى ماسك الدفة وقال له :

ـ نبه على كارلوف بان يستعد للغوص بعد ربع ساعة ونبه على رانفيل بان يعد لى جهازا لا غوص أنا أيضا

وابتعد ماسك الدفة فتولى فوجيل عجلة القيادة بدلا عنه ٠

وفتح باب الغرفة وخرج منها ماسك الدفة ٠

ورأى تمبلار أن ساعة العمل قد حانت ٠٠ وانها فرصة سانحة من الحماقة أن يدعها تفلت من بين يديه ٠

ولما مر ماسك الدفة من الموضع الذى يربض فيه تمبلار فوق سطح الغرفة انقض عليه تمبلار فجأة وكانت يداه قد انطبقتا على عنقه قبل أن تنفرج من بين شفتيه الصرخة الهائلة التى اوشك ان يطلقها ٠

وفى اللحظة التالية راى ماسك الدفة مدية يلتمع نصلها فى الظلام ٠

وظل النصل يهوى حتى لمس عنقه بشفرته الباردة وهمس القديس فى اذنه يقول :

– اذا صرخت أو استنجدت فأنت هالك ٠ !

ووضع القديس المدية فى غمدها وجرد الرجل من مسدسه ثم صوبه اليه وهو يقول له :

– والان انهض واياك أن تستنجد ٠ !

ثم رفع يده عن عنقه فنهض الرجل واقفا ومازالت الدهشة آخذة منه وقال له القديس :

– اذا اردت أن تعيش طويلا فاستمع لما اقول

فأحنى الرجل رأسه موافقا فاسترسل القديس يهمس فى اذنه :

– لا تنبىء كارلوف بحرسا لفوجيل ٠٠ وانما اذهب بى اليه وقل له ٠ ان فوجيل يامره بأن يلبسنى بذلة الغوص لانى انا الذى سانزل الى البحر مع فوجيل ٠٠ وهذا هو كل ما اريد منك ٠٠ ساضع المسدس فى جيبى ٠٠ ولكن اصبعى ستكون على الزناد ٠٠ فاذا بدرت منك بادرة تدل على الغدر استقرت رصاصة فى قلبك .. فاياك ان تفكر فى الوشاية بى ٠ ! ومسألة اخرى ٠٠ هى أن تنبه على كارلوف من لسان فوجيل بأن يبقى فى الغرفة ولا يصعد الى ظهر اليخت ليراقب باقى البحارة حتى يحول دون صعود اى واحد منهم الى ظهر اليخت ٠٠ أفهمت ٠ ؟

فأحنى الرجل رأسه مؤمنا ٠ ولاحت على شفتى تمبلار

ابتسامة تدل على الظفر والانتصار ومشى الى جانب ماسك الدفة وهو واثق من ان مصائر الامور قد انقلبت وان الحظ بدا يحالفه ٠٠ !

الفصل التاسع والعشرون

ووضع تمبلار يده فى جيبه واصبعه فوق زناد المسدس متهيئا للط ارىء ولما اقتربا من غرفة البحارة قال يخاطب ماسك اا فة :

– اه ك بذراعى حتى يحسبونى اسيرك ٠٠ واياك ان تفكر فى غدر بى والا فالموت يترقبك ٠

وكانت الغاية التى يرمى اليها تمبلار من مرافقة فوجيل الى قاع البحر هى أن يعرف المخبأ السرى الذى يكنز فيه السبائك والجواهر ٠٠ ليس فى هذه الناحية سفن غارقة يريد أن ينتشل شحنتها ٠٠ فالتفسير الوحيد هو انه سيخفى ما اخرج من الباخرة شلفونت فى قاع البحر ' وهكذا يمكن ان يقال : « من البحر والى البحر يعود » ٠ !

كما يقولون عن الانسان « من الارض والى الارض يعود »

وقال ماسك الدفة يخاطب البحارة :

– يقول الرئيس ان تمبلار سينزل ثانية الى البحر ٠

واصغى القديس الى كلمات الرجل فى اهتمام ٠٠ كان صوته ثابتا لا يرمى شيئا من الشك الى النفوس ٠ ومع ذلك فقد كان تمبلار متهيئا لاطلاق الرصاص عندما تبدر من البحارة بادرة تدل على أن الشك بدأ يخالجهم ٠ ولكن لم تساورهم الوساوس وقد نزل تمبلار من قبل الى البحر . فما الذى يمنع أن ينزل ٠

واسترسل ماسك الدفة يقول :

– وهو يأمرك يا رانفيل ان تعد له بذلة ليرافق تمبلار الى القاع .. فأسرع .. !

– حسنا .

وخرج رانفيل يصحبه فاريل . وهم كارلوف بان يلحق بهما ولكن ماسك الدقة استبقاه قائلا :

– اما انت يا كارلوف فابق هنا وراقب الاخرين حتى لا يصعد احد منهم الى ظهر اليخت عدا المهندس ومساعده . كما أمر بذلك الرئيس .

فقال كارلوف في استغراب :

– وما الداعي الى هذا الاحتياط العجيب .. ؟

فهز ماسك الدقة كتفيه قائلا : لا ادري .. انها اوامر الرئيس

ثم خرج وفي رفقته تمبلار الذي اوصد الباب خلفه .

لقد نجحت الخدعة وجازت عليهم جميعا .. كان تمبلار يعلم ان في الامر مجازفة جنونية اذ من المحتمل أن يصعد كارلوف الى ظهر اليخت ولو لحظة واحدة فتنكشف المكيدة عندما يراه فوجيل . ولكن تمبلار كان يعتمد على ما هو معروف عن فوجيل من شدة البطش وقوة البأس وما خبره من طاعة رجاله له طاعة عمياء . وحرصهم على تنفيذ أوامره بمنتهى الدقة والرضوخ .

ولما مر تمبلار وهو يجتاز الدهليز بالغرفة المصفحة فتح بابها ودفع اليها ماسك الدقة ولكنه لكمة القته على الارض صريعا ثم كمم فمه واغلق الباب وصعد وحده الى الظهر .. ولم يدهش رانفيل وفاريل حين رأياه مقبلا وحده وماسك الدقة لا يحرسه .. ورجح لديهما أن ماسك الدقة لا يزال ينهي الى كارلوف الرسالة التي امره فوجيل بنقلها اليه .. ولم يكن ثمة مايدعو الى انزعاجهما وهما يعلمان ان تمبلار اعزل من السلاح .

ومضى اليهما تمبلار فساعداه على الدخول الى جهاز الغوص . ولما كان يعلم أن فوجيل سيصعد الى ظهر اليخت بعد قليل فقد انتحى ركنا من المكان على مقربة من الخطاف حتى لايراه فوجيل عند خروجه . ثم اغتنم غفلة منهما فأخرج مديته من جيبه واخفاها في طيات الجهاز من الخارج حتى اذا احتاج اليها وهو في قاع البحر امكنه ان يتناولها من بين هذه الثنايا ويستعملها .

وبعد قليل سمع وقع خطوات مقبلة يصحبها صوت فوجيل وهو يقول :

– اذن وداعا يا مسيو فورتنيه .. والى الغد .

– الى الغد يا سيدي .

وقال القديس مخاطبا رانفيل قبل أن يحضر فوجيل :

– ضع الخوذة على راسي واحكم اغلاق الجهاز .

فمنذ ما جاء فوجيل كان تمبلار داخل جهازه لا تبدو منه الا عينان تتألقان خلف الزجاج السميك . فلو أن فوجيل نظر اليه لما عرف أن الرجل الذي في داخل الجهاز هو تمبلار لا كارلوف .

وبعد بضع دقائق انطبقت خطافات الالة الرافعة على جهازي الغوص واخذت تدليهما الى الماء .. وفي نفس الوقت أضيء مصباح كشاف في مقدمة اليخت فارسل ضوءه الى الماء في خط عمودي تقريبا .

وبعد قليل بلغا قاع البحر .. ولم يكن تمبلار يدري المهمة المطلوبة منه بصفته كارلوف .. ولكنه كان حريصا على أن يتبع فوجيل في خطواته اذ المعقول أن يسيرا معا .. غير انه لاحظ فجأة ان فوجيل يشير اليه اشارات يفهم منها انه يطلب منه أن يبتعد عنه . فابتعد على عجل في الاتجاه الذي أشار اليه فوجيل .. وسمع صوته في التليفون يقول :

- انزلوا الخطاف . !

وراى تمبلار خطافا هائلا من الفولاذ يهبط فوقهما ..

وراى فوجيل وقد امسك باحد طرق الخطاف وجره وادناه من صخره هائلة قائمة فى قاع البر .. ففعل مثله وجذب الطرف الثانى من الخطاف وقد ادرك أن فوجيل يريد أن يطوق الصخرة بالخطاف . !

واحاط الخطاف بالصخرة احاطة السوار بالمعصم .. ثم سمع صوت فوجيل يقول :

- ارفعوا الخطاف . !

واخذ الخطاف يرتفع تدريجيا حاملا معه الصخرة الهائلة . فانكشفت فى موضعها فجوة هى عبارة عن باب يفضى الى كهف فى قاع البحر .

وفى هذا الكهف كان فوجيل يخفى جواهره وسبائكه الذهبية التى تقدر باثنى عشر مليونا من الجنيهات .

الفصل الثلاثون

نزل كيرت فوجيل الى الكهف فهم تمبلار بان يحذو حذوه ويتبعه ولكن هذا اشار اليه بيده قائلا :

- ابق مكانك وحرك الصناديق لتدخل فى الفوهة

فلبث تمبلار فى مكانه عند مدخل الكهف . وبعد لحظات راى الخطاف يهبط الى الماء ثانية وقد انطبق فكاه على صندوق من الصناديق التي تحتوى على السبائك الذهبية . واخذ تمبلار يحرك الخطاف ويزحزحه بكل ما فيه من قوة الى ناحية الفوهة حتى اذا صار فوقها بالضبط تكلم فى التليفون قائلا :

ازلوه تدريجيا !

وبدا من فى اليخت يدلون الخطاف تدريجيا داخل

الفوهة حتى اذا استقر على ارض الكهف تولى فوجيل العمل فابعد فكى الخطاف عن الصندوق ثم ارتفع صوته فى التليفون يقول :

- اسحبوا الخطاف !

وخرج الخطاف من الكهف واخذ يعلو تدريجيا حتى بلغ سطح الماء

وبعد دقائق قليلة ظهر الخطاف ثانية هابطا وبين فكيه صندوق ثان واخذ تمبلار يحركه كما فعل فى المرة الاولى الى ناحية الفوهة . وتكررت نفس العملية السابقة .

وهكذا ظل الخطاف يعلو ويهبط حاملا معه فى كل مرة صندوقا جديدا من صناديق الذهب .

وكان تمبلار يعد الصناديق واحدا بعد الاخر وينتهز فرصة الفترة التى بين كل انزال كل صندوق وآخر فيدنو من انابيب المطاط التى تصل الهواء الى جهاز فوجيل ويحزها بالمدية التى اخرجها من طيات جهازه .

كان تمبلار يعلم ما يفعل .. ولكنه كان يفعله فى برود .. وفى رباطة جأش دون أن ينبض فى قلبه عرق بالرحمة أو الشفقة .

كان يذكر فى هذه اللحظة الاستاذ بول وكيف حبس عنه فوجيل الهواء وهو فى قاع البحر وتركه يموت اختناقا .

ثم تذكر نفسه وكيف كان واقفا امام باب الخزانة فى القاع وهو يترقب الموت ما بين لحظة وأخرى .. ويترقب أن يضيق تنفسه ويختنق . وما انقذه من هذه الميتة القاسية الا الثمن الباهظ الذى دفعته لوريت . !

وهنا تذكر لوريت وتضحيتها الاليمة فاشتد حقده على فوجيل واندفعت من قلبه كل ذرة من ذرات الرحمة . اذا كان فى قلبه شىء منها .

ليس العدل فى ان يقتل فوجيل .. وانما العدل فى ان يكون بنفس الطريقة التى قتل بها ضحاياه . لقد حبس عنهم الهواء فليحبس عنه الهواء بدوره .. والجزاء من جنس العمل .

هذا هو عدل تمبلار .. وانه العدل السليم الصحيح !

ومضى تمبلار يحز انبوبة الهواء تدريجيا دون ان يقطعها قطعا حتى اذا حانت اللحظة المناسبة كانت واحدة من مديته كافية لان تمزقها وتعجل بالنهاية المنشودة .

واخيرا ارتفع صوت شلنبرج يقول فى التليفون :

لقد تم نقل الصناديق كلها !

فقال فوجيل مجيبا :

حسنا .

وظهرت خوذته وهو يخرج من الكهف . وفى هذه اللحظة ضرب تمبلار ضربته القاضية فمزق الانبوبة تمزيقا تاما . وانحبس الهواء عن فوجيل .

ولكنه لم يدع طرف الانبوبة يعلو ويطفو على سطح الماء وانما شده الى صخرة فى القاع . وفى اللحظة التالية قطع السلك التليفونى الذى يصل جهاز فوجيل باليخت !

وان هى الا لحظات حتى بدا الهواء يفسد .. واخذت انفاس فوجيل تضيق .. ورآه تمبلار خلف الزجاج وهو يحرك شفتيه متكلما ظنا منه أن صوته يصل الى اليخت بواسطة التليفون .

وهنا اقترب منه القديس واقر بيده على زجاج جهازه فنظر هذا اليه بعينين بدأ يظهر فيهما الرعب .

وادنى القديس وجهه منه واشار اليه بيده كانما يقول

ـ انظر الى وجهى !

ونظر فوجيل الى وجهه على الفور .

وهنا ارتسمت فى عينيه امارات الرعب والفزع !

ووثب الى ناحية تمبلار على قدر ما يستطيع من تحريك ذلك الجهاز الثقيل كانما يريد ان يبطش به .. ولكن تمبلار ابتعد عنه بسرعة ووقف يرقبه من بعيد متشفيا بهذه اللحظة التى انتقم فيها من الرجل الذى يقتل ويريق الدماء دون أن تخالجه عاطفة من الرحمة !

وتكلم القديس فى التليفون مقلدا صوت فوجيل :

ـ انى سابقى هنا قليلا فاسحبوا الجهاز الاخر .

ولما استقر تمبلار على ظهر اليخت اسرع اليه رانفيل ورفع الخوذة وافرج القديس راسه من الجهاز كما اخرج يده فى نفس اللحظة .

وكان فى يده مسدس صوبه الى الحاضرين وهو يقول :

ـ الان انتهت اللعبة ايها الاصدقاء !

وماسمع البحارة صوته التهديدى وما رأوا المسدس فى يده حتى دب الرعب فى قلوبهم ونظروا اليه فى فزع وخوف .

واستدار اليه شلنبرج وهتف قائلا :

ـ أنت .. ! كنت اعتقد أن كارلوف هو الذى نزل الى الماء !

وخرج القديس من الجهاز وهو لايزال شاهرا مسدسه وتكلم فى صوت رهيب قائلا :

ـ لقد مات فوجيل من قتل يقتل .. وبنفس الطريقة .. ! لقد حبست عنه الهواء .. وهذا هو العدل .. ! فمن شاء منكم ان يلحق به فليتحرك حركة واحدة .. فالمسدس الذى فى يدى قد ينطلق فى اية لحظة .. !

وكانما اخذ شلنبرج بهذه النصيحة فامتدت يده الى

جيبه . ولكن قبل أن تبلغه كانت قد انطلقت رصاصة من مسدس تمبلار استقرت فى صدره ! فترنح وسقط على الارض .

وقال تمبلار يخاطب الباقين :

ــ ايريد احدكم ان يستريح الى جانب شلنبرج ..؟ كلا .. ! حسنا اذن ارفعوا الايدى .. أما أنت يارانفيل فعليك ان تتولى شد وثاق زملائك ثم رافقنى الى غرفة البحارة لتتولى تقييد الآخرين .

وهنا ارتفع صوت من ناحية السلم يقول :

ــ لقد قيدناهم نحن بأنفسنا !

وخرج من ظلام السلم ثلاثة رجال هم ، صديقاه روجر كونواى وبيتر كوينتين يتبعهما البوليس السرى الامريكى جون مندرسن بجسمه الضخم ورأسه الصلعاء ..!

الفصل الحادى والثلاثون

قال روجر يحدث رئيسه بما وقع :

ــ كنا فى الفندق نضرب اخماسا فى اسداس ونتساءل عن الوسيلة التى تمكننا من الاتصال بك وفجأة وصلت الينا البرقية اللاسلكية التى ارسلتها مس لوريت باج .. فانطلقنا الى يختك وحضرنا مسرعين . وكان لنا فى الليل ستار حجبنا عن الانظار فاستطعنا أن نستقل قاربا دنونا به من اليخت فى الوقت الذى كانت صناديق الذهب تنقل الى القاع فلم يفطن الى اقترابنا أحد اذ كانوا منهمكين فى نقل الذهب .. فصعدنا الى اليخت من الجهة الخلفية ونزلنا الى الغرف وهاجمنا البحارة الذين فى الداخل وقيدنا وثاقهم وكممنا افواههم .

فأشار القديس الى البوليس السرى الامريكى وقال :

وكيف هبطت عليكم هذه النكبة الامريكية ؟

ــ لقد زارنا فى الفندق واخذ يتحدث عن لوريت فى لهجة حماسية مشوبة بالخوف فاعتقدنا انه زوجها .. فرأينا أن لا مانع من أن نستصحبه معنا لنتفرج عليكما وانتما تتبارزان .. فضلا عن انا ظننا أنه قد ينفعنا بشىء .

وتكلم جون مندرسن قائلا :

ــ اظن يا تمبلار أنه قد حان الوقت لكى اشكرك على انقاذك حياتى مرتين فى يوم واحد . ولكن ليس معنى الشكر انى سادعك تسرق هذه الكنوز . كلا . انى لست من هذا الطراز . وليس فى وسعك ان تلفنى على اصبعك كما فعلت بلوريت فمادمت موجودا هنا فسأتولى الامر بنفسى .. ولكن ثق انى سأتباحث مع شركة انجريك لتمنحك عمولة معينة .. وهذه فيما اعتقد أول مرة تنال فيها مالا عن طريق شريف .

فابتسم القديس وقال :

انى اكل لك الامر كله بطيبة خاطر فمر بما شئت .

فقال مندرسن :

ــ اذهبوا على الفور الى الشاطىء واخطروا رجال البوليس بما حدث اما انا فسأبقى هنا لاحرس اجهزة الغوص حتى اكون على ثقة من انكم لن تقربوها والويل لمن تحدثه نفسه منكم بان يستعمل احد هذه الاجهزة . فانى فى هذه الحالة لن ارحمه . وسأطلق عليه النار بلا تردد .

فقال القديس :

ــ احرس يا عزيزى الاجهزة كيف شئت . واعلم انى ساكون سعيدا بان اتلقى العمولة التى ستمنحها لى الشركة .. لقد سئمت حياة اللصوصية وبودى ان اكفر عن آثامى وخطاياى . ولهذا ساظل مدى العمر افاخر

الناس واقول لهم فى زهو وخيلاء : انظروا .. لقد جاءتنى هذه الاموال عن طريق شريف .. !

فقال مندرسن :

ـ والان هيا الى الشاطىء .

ـ اسمح لى اولا ان اخلو برهة الى لوريت .

وخلا اليها .. وكانت جالسة على ظهر اليخت وشعرها متهدل على كتفيها وبوجهها نضرة الصبا التى فتنته واستولت على لبه .

وود لو انه احتواها بين ذراعيه واطبق على شفتيها ، ووقف ينظر اليها برهة فتكلمت فى صوت موسيقى عذب قائلة :

الا تنوى ان تنضم الى شركتنا ..

فهز راسه وقال :

ـ وهل تعتقدين ان تمبلار يمكن ان يكون بوليسا سريا .. ؟

ـ انى أرى انك نجحت فيما اخفقنا فيه نحن .

فابتسم وقال :

ـ لست اقصد هذا .. وانما اردت ان اقول ان تمبلار لا يمكن ان يرضى بان يربح مالا عن طريق حلال شريف .

ـ وفى المستقبل .. ؟

ـ المستقبل .. !

ثم هز كتفيه فى استخفاف قائلا :

ـ ساظل اعيش كما كنت .. سعيدا بان اناضل رجال البوليس .. سعيدا بان ارى الدنيا كلها تتألب ضدى وانا اكافحها بمفردى دون ان تتاح لهم فرصة ينالون فيها منى .. سأسرق .. واناضل .. واربح .. واخسر . واطمع فيما لا اناله وانال مالا اطمع فيه واكافح الموت . والحياة .. واحارب رجال البوليس ..

واساعدهم .. واوصف بانى لص .. ولكنى انقذ القانون .. نعم .. ساظل اعيش كما كنت اعيش .. واقذف بنفسى الى المتاعب والمغامرات . وقد احب مرة اخرى فلا اطمع منها فى شىء الا فى نظرة عطف او ابتسامة رضاء .. اما خاتمة حياتى فلا ادرى عنها شيئا .. ولا يهمنى ان ادرى .. قد اشنق .. وقد أصاب برصاصة . وقد اطعن من الخلف . ولكنى لن اندم . لن اندم مطلقا . فقد عشت الحياة التى خلقت لها .. والتى يجرى فى دمائى حبها وايثارها .

ونظرت اليه لوريت طويلا ثم تمتمت تقول

ـ اذن وداعا .. !

فقال مرددا :

وداعا ..

وانحنى على يدها يقبلها فى خشوع وتقديس ثم ابتعد متواريا .. وابتلعه الظلام .. !



وفى الطريق الى اليخت «كورسير» تنهد روجر وقال فى اسف :

ـ اذن فقد خرجنا بلا ثمرة

ـ كانت الملايين فى ايدينا ومع هذا لم نصب منها بنسا واحدا .

فابتسم القديس وقال

ـ وما ادراك ..؟ احسبتنى طفلا ارهب مسدس يصوب الى .. ! كأنى بك لا تعرفنى .. ! سنذهب الى يختى .. وبمجرد وصولنا سارتدى مع واحد منكم جهازى الغوص الموجودين هناك .. ثم نعود متسللين فى

جنح الظلام فنهبط الى القاع ونغترف من الكنز ماشئنا .. ان مندرسن الابله وظن انه بسهره على اجهزة الغوص الموجودة في اليخت فلا كنبرج قد ضمن عدم هبوط احد الى القاع .. ولكنه واهم في هذا .. ففي يختي جهازان سنستعملهما بعد ساعة او ساعتين .. ان في الكهف اثني عشر مليونا من الجنيهات . فاذا استولينا على مليون منها لم يشعر احد بما نقص .. فاستعدوا يا اولادي فان القديس لا ينهزم ولا يتراجع .

(تمت)

رقم الإيداع ٨٢/٢٣٨٨

القديس في قاع البحر

قال جون لفندرسون يحدث القديس ،
أظن يا تمبلر أنه قد حان الوقت
لكي أشكرك على إنقاذك حياتي
مرتين في يوم واحد ، ولكن ليس من
الشكر أنني سأدعك تترك هذه الكنوز .
ولكن ثق أنني سأطلب من الشركة أن
تمنحك عمولة ، وهذه فيما أعتقد أول مرة
تنال فيها مالاً عن طريق شريف .

الناشر :

مكتبة رجب

١٧ شارع البندق
خلف مطابع القاهرة بالعتبة
الثمن ٣٥ قرشاً